

٢٨
المكتبة الصغيرة
أرطأة بن سهية
عبد العزيز الرفاعي

المكتبة الصّغيرة
٢٨

أرطاة بن سهيّة

حياته وشعره

عبد العزيز الرفاعي

الطبعة الأولى

المحــرم ١٣٩٩ هـ

ديسمبر ١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بالرغم من أن هذا الكتيب ، 'يعد" وحدة واحدة قائمة بذاتها .. الا أن هناك صلة وثيقة تربطه بكتيب آخر ، صدر فى هذه السلسلة قبله ، وأعنى به كتيب (ضرار بن الأزور) ، الذى حمل العـدد ١٩ منها .. كما أن هنـاك صلة تكميلية أيضـاً تربطه بالكتيب رقم ٢٤ من السلسلة ذاتها ، وهو كتيب (خولة بنت الأزور) ، وذلك لأن ضرار بن الأزور ، هو والد أرطأة بن سهية .. وهذا موضوع سيرد الكلام عنه مفصلا فى هذه الرسالة ..

أما خولة .. فهي منسوبة الى ضرار ، على نحو ما ، كما نرى من اسمها .. وان لم تكن فى واقع الأمر كذلك ..

أي ان ارطأة نسب الى أمه ولم ينسب الى أبيه ضرار ، وان خولة نسبت الى الأزور .. ولا يبدو ان الأمر كذلك ..

اذن فالـكتيبات الثـلاثة تتنـاول حـديث هـذه المواضـيع باستفاضة ، ولذلك أجدنى مضطراً أن أنصح قارىء هذا الكتيب ،

أن يقرأ الكتيبين السابقين ، ليستكمل أطراف البحث .. وحري به أن يجمع الكتيبات الثلاثة فى جلد واحد ..

واذا كان هنـاك فريق من القراء ، قد أمضّهم أن يخسر تاريخنـا الحقيقي شـخصية بطوليـة هي شـخصية (خولة بنت الأزور) ، التى أحاطها الكتاب المعاصرون بهالة كبيرة من الاعجاب .. فانى أود أن أهدى الى هؤلاء هذا الكتيب .. فان ضراراً ان خسر أختاً وهمية هي خولة ، فقد أعاد هذا الكتيب الى تاريخه ابناً بطلا شاعراً هو ارطأة ..

ان ضرار بن الأزور ، هو الوالد الحقيقي لارطأة بن سهية ، ذلك الشاعر الفحل ، الذى طوى النسيان اسمه .. وذهبت الأيام بديوانه فلم يعـرف له مقرّ .. ولم يصل الينا من شـعره الا القليل المتناثر فى بطون الكتب .. بيت هنا وأبيات هناك ..

وكان أرطأة كانت بينه وبين الأيام ثارات(★) .. فقد تاه عن والده .. أو فقـد حنـانه .. وابتعد منذ مولده عن بلاده وعشيرته .. لينشأ فى بلاد أخرى ، وبين عشيرة غير عشيرته .. وان يترتب على ذلك أن لا يُعرف الا بأمه .. وان لا ينسب الا اليها ، فالتصق اسمه بهـا مدى الحيـاة ، وعَبَر به التاريخ الطويل ، فلم يعرف الا بأرطأة بن سهية ..

(★) من العجيب أيضا أن لا ترد ترجمة أرطاة فى كتاب (الاعلام) للزركلى على سعته وشموله !

وليت الأمر وقف عند هذا الحد .. بل لقد تجاوزه .. حينما عزته بعض كتب التاريخ بل كلها تقريباً الى أب غير أبيه .. هو زفر بن عبد الله وهو الرجل الذى وُلد أرطأة فى فراشه ، ونشأ فى حضنه الى جوار والدته سهية ..

وكان أعجب العجب أن تذكر بعض المصادر قصة محاولة ضرار ضم ابنــه ارطأة اليــه ، ثم تأتي بعد ذلك مباشرة ، أو قبله مباشرة بترجمته أو بنسبه معزواً الى زفر .. ساردة النسب الى ما شاء الله من آباء وأجداد .. هم آباء زفر وأجداده .. بينمــا لا صلة تمتّ أرطأة بكل هؤلاء الآباء والأجــداد الذين يردون فى نسبه ..

ومع هذه الغربة التى ظلّلت حياة أرطأة وذهبت به بعيداً عن داره وأبيه وذوى قرابته وقومه .. وكانت لها انعكاساتها ـ بلا ريب ـ على حياة الشاعر المرهف .. كما يظهر ذلك لعين الباحث الفاحصة ، حينما تتأمل مجريات أحداثه وأخباره ..

مع ذلك .. حاربت الأيام شعر أرطأة .. فذهبت به .. فلم يبق منه الا القليل .. وان دلّ هذا القليل ، على فحولة الشاعر ، وقوة أدائه ..

واذا كانت عمليــة تصحيح ترجمــة حيــاة هذا الشــاعر ، وارجاعه الى نسبه الصحيح ، وضمه الى أبيه ولو على مثل هــذه السطور ـ عملية يسع الباحث أن يضطلع بها ، كما يسعه أن

ينقد الأخبار والأحداث وأن يمحّص الصحيح من الزائف .. اذا كانت هذه العمليـة ممكنة حقاً .. فان القيـام بمحاولة ارجاع ذلك الشعر الذى ضـاع مع الزمن ، عمليـة مستحيلة أو تكاد ، اللهم الا بذل الطاقـة لضم شـتات ما احتفظت به كتب الأدب والتاريخ واللغة .. وجمع هذا الشتات بعضـه الى بعض لصـنع ديوان الشاعر .. أو ما يمكن أن يسمى تجوزاً بديوانه .. وما هو بديوانه .. ولكنه جذاذات من ديوانه .. ونتف من شعره ..

وحينما اجتـذبتنى شخصية أرطأة ، بعـد أن ساقتها اليّ ظروف البحث فى حياة أبيه الحقيقي ضرار .. طرأ لى أن أجمع شتات شعره ، بعد أن جمعت شتات أخباره .. ونسقت من هذه الأخبار صفحات يصح أن يطلق عليها ترجمة حياة ..

ولكنى لم ألبث أن صرفت النفس عن موالاة جمع شعره ، بعد أن عرفت أن هناك فى العالم العربي الفسيح أكثر من باحث يُعنى بهذه المهمة .. فوجدت أن مثل هؤلاء الباحثين المتفرغين أولى بها منى ، وأحـرى ان يضطلعوا بها على الوجه المنشـود .. ولعـلى اطلع مع القـراء ، قريبـاً على ثمار هذه الجهـود ، التى أتمنّى مخلصاً أن تتكلل بالنجاح(*) ..

(*) حينما كان هذا الكتيب معداً للطبع اطلعت فى مجلة المورد العراقية المجلد السابع ، العدد الأول ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م على ما اضطلع به الأستاذ الباحث صالح محمد خلف من جمع شعر أرطاة وتحقيقه ، وهو عمل جيد .

أما ما كتبتــه عن ترجمة حيــاة أرطأة .. وما اســتطعت أن أتوصل اليه من ملامح هذه الحياة .. أو ما استنبطته من أحداثها .. فهو ما أقدمه للقراء اليوم ..

★★★

واذا كان أرطأة قــد ’نسب الى أمــه .. و’عــرف بهــذه النسبة وحدها فى حياته وبعد حياته ، فان ذلك لا يعد انتقاصاً فى سيرته .. أو القاء شبهة ما على هذه السيرة .. فان العرب كانت تفعــل ذلك لأكثر من سبب .. ويدخــل من بين هــذه الأســباب الافتخــار .. فقــد تنسب القبيــلة الى أم تميزت ببطولتهــا أو بحكمتها وينسحب النسب على العشيرة كلها .. كما هو الشــأن فى « بجيلة » ، حيث انتسبت القبيلة كلها الى هذه الأم . وهناك فريق من الشــعراء نسبوا الى أمهاتهم لأسباب مختلفة ، منهــم معاصر أرطأة نفسه ومهاجيــه شبيب ابن البرصاء ، فالبرصاء أمه(★) .. ويحتفظ تراثنــا الزاخر بأكثر من كتاب و’ضع فى هذا الباب الطريف .. ومن ذلك رسالة أبي جعفر محمد بن حبيب التى بعنوان (ألقاب الشــعراء ومن يعرف منهم بأمه) .. عنى باخراجها الأستاذ عبد السلام هارون فى (نوادر المخطوطات) .

والمصدر الرئيسى لحياة ارطأة بن سهية .. أعنى ارطأة بن ضرار بن الأزور ، انمـــا هو كتــاب (الأغاني) لأبي الفــرج

(★) وأبوه يزيد بن جمرة من بنى مرة . ولم يترجم له صاحب (الاعلام) .

الاصفهاني .. وهو أيضاً ـ المصدر الرئيسى لقدر كبير من شعره .. فقد عقد لاخباره باباً خاصاً ..

وفيما عدا كتاب (الأغاني) ، لا يكاد يجد الباحث كبير غناء .. اللهم الا نتفـا يسيرة .. اذا استثنينا ـ طبعاً ـ المصادر التى اعتمدت على (الأغاني) أو اعتمد صاحب الأغاني عليها ، أو أخذت عنه ، أو عمن أخذ عنه .. أي ان كتاب (الأغاني) يعد أجمـع لأخبـار ارطأة من غيره .. بيد ان الباحث لا يستغنى عن الاطلاع على جميع المصادر أو المراجع التي يمكن أن يلتقط منهـا فائدة ما .. أو يعتقد أنها مظنة فائدة .. مهما تكن صغيرة أو يسيرة ، وبهذا الحافز رجعت الى عدد وفير من المصادر والمراجع ، بغية العثور على خبر جديد ، أو بيت شعر ، أو لمحة بارقة من استنباط سديد .. ومن أجل ذلك تريثت فى اخراج هذا الكتيب ، فقد كانت أصوله الأولى محاضرة ألقيت فى (عنيزة) فى شتاء عام ١٣٩٤ هـ ثم مضيت أنقح تلك الأصول ، وأعيد كتابة فصولها وأراجعها وأزيد عليها كلما سنحت لى فرصة حتى استوت على هذا النحو المتواضع الذى أقدمه للقراء اليوم ، سائلا الله عز وجل التوفيق والسداد ؟

عبد العزيز أحمد الرفاعي

الرياض ١٣٩٨/٦/٧ هـ

حياتي..

نسبة

من هي أمه ؟

ما دام هذا الشاعر قد نسب الى أمه .. فلننظر أولا من هي أمه هذه ؟

هي ُسـهية ـ على وزن ُسميّة(١) ، بنت زامل ابن مروان بن زهـير بن ثعلبـة بن خديج بن أبى جشم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف ..

وهذا النسب ينتهى كما نرى الى عوف بن عامر .. وهـؤلاء بطـن مـن عامـر بن صعصعة مـن العدنانية(٢) .

أي ان بنى عوفِ هم أخوال الشاعر ..

اننا نعرف من قصة حياته ، ان سهية أمه ، كانت

---

(١) تاج العروس مادة (سها) .. وفيه زايل بالباء الموحدة بدلا عن زامل بالميم .

(٢) وهم بنو عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان . راجـع معجم قبائل العرب/عمر رضا كحالة .

سبية من كلب(١)، وكانت لدى ضرار بن الأزور(٢)، ثم صارت الى زفر بن عبدالله(٣) ، وهي حامل، فولدت ابنها ارطأة على فراش زفر . وقد عنيت به ، حتى أخذ مأخذ الرجال ، وأصبح شخصية مرموقة ، ذات مكانة بارزة فى بنى مرة ، قوم ربيبه . لذلك فلا عجب ان نسب الى أمه ، وعرف بها طيلة حياته ، وان لم يعدم من يعيّره بها (٤) .

---

(١) الأغاني : وقد مر بنا نسبها وليس فيه كلب .. ولعله يتصل بكلب .. فخذ من عبد الله شن غطفان من العدنانية .

(٢) كتاب ضرار بن الأزور ، من سلسلة المكتبة الصغيرة ص ١٣ وما بعدها و ص ٦٦ .

(٣) الأغاني : ترجمة أرطاة ، وبقية نسب زفر فيه : ابن مالك بن شداد ابن غطفان بن أبى حارثة ، بن مرة بن نشبة بن غيظ ، بن مرة بن سعد بن ذبيان .

(٤) الأغاني : ترجمة أرطاة ، حيث قال : شبيب بن البرصاء : وددت انى جمعنى وابن الأمة أرطاة بن سهية يوم قتال فأشفى منه غيظى !

وقال أيضاً ، حينما هاجى رجلا من غني ، أو من باهلة ، فتدخل بينهما ارطاة ، يعني الغنوي :

لعمرى لئن كانت سهية أوضعت ... بارطاة فى ركب الخيانة والغدر
فما كان بالطرف العتيق فيشترى ... لفحلته ، ولا الجواد اذا يجرى
اتنصر منى معشراً لست منهم ... وقد كنت أولى بالحياطة والنصر

تراجع الأغاني ترجمة شبيب بن البرصاء .

وبالرغم من أن سهية سبية حقاً ولكنها ذات أرومة عربية أصيلة كما مر من نسبها .

ونعلم من قصة حيــاة ارطأة ، انه كان شديد الحدب على والدته ، معترفاً بجميلها العظيم عليه ، وكان شديد الرعاية لها ، يغضب ، كل الغضب ، اذا أهينت ، كما سيرد ذلك مفصلا فى تاريخ حياته .

اذن ، لم يكن ارطأة ابناً لزفر .. وبالتالى فليس من بنى مرة .. وانما هو ابن لضرار وهو ضرار بن الأزور .. والأزور ، لقب أبيــه واسمه مالك بن أوس .. وبقيــة نسب أوس هو : ابن خــزيمة بن ربيعــة بن مالك بن ثعلبــة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدى(١) .

ومعنى هــذا ان ضراراً من بنى أسد ، القبيلة التى كانت مشهورة فِي العهــد الجاهلي ، وهي قبيلة عدنانية ، منازلها فى نجد بنواحى القصيم الى عالية نجــد ، مجاورة لقبيلة طيء .. ممتدة الى أطراف من ديارها .

★★★

---

(١) كتاب (ضرار بن الأزور) العدد ١٩ من هذه السلسلة .

وتبدأ قصة حيـاة ارطأة ، منذ أن أخذت أمه (سهية) سبية لضرار بن الأزور (رضى الله عنه) .. وكان ذلك فى جاهلية ضرار .. ثم صارت سهية من بعد ، وهي حامل ، الى زفر بن عبد الله . ولا تذكر المصـادر شـيئاً عن قصة انتقال سـهية من ضرار ، الى زفر .. ولكننا نعلم أنها وضعت ابنها ارطأة .. على فراش زفر بن عبد الله .. ونشـأ فى حضنه .. وهناك ترعرع .. وأصبح غلاماً يافعاً .

وأحسّ ضرار بحنينه الى ابنه .. وشـعر بأنه يجب أن يعمل شـيئاً لاسـترداده .. ولكيما يشب بين قومه من بنى أسـد .. ورأى ان يلجأ فى هـذا الأمر الى كبير من بنى مرة هو الحـارث بن عوف ، مستثيراً مروءته برجز ، يمتدحه فيه ، ويؤكد له انه يعرف أن ارطأة ابنـه .. حقيقة واضحة .. كما هو القمر حقيقـة كونيـة كبرى واضحة .. ويقول ؛ ان من العار ان يحجد أبوته له .. وهو ان فعل ذلك ، فهو شيخ سوء :

يا حار .. اطلق لى ُبنيّ . من زفر(١)
كبعض من تطـــلق من أسرى مضـــر
أعـــــرفه منى .. كعـــــرفان القمر
ان أباه شـــيخ شـــقر .. ان كفـــر(٢)

ونرجح ان ضراراً ، انما بادر بطلب الحصول على ابنه بعد وفاة زفر بن عبد الله(٣) وهذا يتسق ومنطق الأحداث عادة ، فان من الطبيعي أن يمتنع زفر في حيـاته ، عن تسـليم ارطأة مراعاة لأمومة سـهية ، التى تتمسك بطبيعـة الحـال بابنهـا كل التمسك(٤) .

---

(١) يا حار .. ترخيم المقصود به يا حارث .. أي بحذف الثاء والقصة فى الأغانى ترجمة أرطاة بن سهية . وهى أيضاً فى ترجمته فى الاصابة نقلا عن المرزبانى ، مع اختلاف فى نص الأبيات وقد اخترت نص الاصابة .

(٢) أي ان أباه شيخ سوء ان كذب .

(٣) الاصابة ترجمة أرطاة .

(٤) أقول بذلك ، مع ان نص الرجز فى البيت الأول يقـول : اطلق لى بنيّ من زفر ، وكأن زفر حي .. ولكنى أميل الى أن المقصود : قوم زفر ، والنص فى الاصابة يعين على ذلك : (فلما مات زفر وشب أرطاة .. الخ) ، أما الخـبر في الأغانى فيقول : ان نهشل بن حـري بن غطفان أدرك ضراراً وانتزع أرطاة منه ورده الى زفر ..

وقد استجاب (الحارث بن عوف) لرجاء ضرار .. وكأنه أدرك أن ضراراً أولى بابنه .. وأجدر أن يشب بين ظهراني قوم أبيه .. فأعطاه اياه قائلا : انطلق بابنك .. وقد قفل ضرار فعلا بابنه ، بعد أن أردفه خلفــه على دابته .. ولكنه لم يكد يفعل حتى أدركــه أقــرم (افــرم) بن عقصــان(١) عم أبى زفــر ، وتهــدد ضراراً قائلا : القه .. والا انتضيتكما بالسيف .. فترك ضرار ابنه مرغماً .. ويبدو أنه لم يعد من بعد ، يفكر بالمطالبة به .. فنشــأ ارطأة ، وهو لا ُيعرف الا بأرطأة بن سهية .. واندمج فى قــوم زفــر ، حتى ُعــدّ مرياً ، أو عوفياً ..

وضبط (أرطأة) بفتح الهمزة الأولى والثانية ، وسكون الراء وفتح الطاء .

والارطأة : نبتــة صحراوية تنبت فى الرمل ..

---

(١) الخبر عن الاصابة ترجمة أرطاة . ولـكن صاحب (الأغانى) يقول : فادركه نهشل بن حري بن غطفان فانتزعه منه ورده الى زفر .

وجمعهـا : الأرطى(١) والعرب تطلق بعض أسماء نباتاتهـا الصـحراوية على مواليـدها من أمثال : أرطأة .. وحنظلة .. وقتادة ..



---

(١) تاج العروس ، مادة : أرط . وقد جاء فيه ، انه شبيه بالغضى ينبت عصياً من أصل واحد ، يطول قدر قامة ، وورقه هدب ، ونوره كنور الخلاف ، غير أنه أصغر منه ، واللون واحد ، ورائحته طيبة ، ومنبته الرمل .. وثمره كالعناب ، مرة ياكلها الأبل غضة . وعروقه حمر ، شديدة الحمرة . وأنشد لأعرابي ، وقد مرض بالشام :

الا أيهـا المـكاء مالك ها هنـا ألاء .. ولا أرطى فاين تبيض ؟

فاصعد الى أرض المكاكي واجتنب قرى الشام..لا تصبح وأنت مريض!

وبه سمي الرجل أرطاة وكنى أبا ارطاة ..

وجاء في الموسـوعة في عـلوم الطبيعـة : أرطاة : جنبـة فرعاء ، برية وزراعية تزينية من فصيلة اللوغانيات ، ازهرارها نوري التجميع ، زهرتها تشبه زهرة الياسمين وهي صفراء اللون ، مستحبة العرف .

سيرته

لا يعرف تاريخ مولد ارطأة ..

ولكن ورد فى بعض أخباره ، انه دخل على عبد الملك بن مروان ، وقد أتت عليه مائة وثلاثون سنة(١) .

ولكن هذا الخبر لا يبدو معقولا .. ذلك لأنه يقتضى أن يكون والده (ضرار بن الأزور) ، قد ولد قبل ذلك بنحو خمسة عشر سنة على الأقل .. ومعنى هذا أن يكون ضرار فى حروب الردة التى يعد من أبطالها فىحوالى الثمانين من عمره .. ومثل هذه السن العالية قد لا تمكن صاحبها من القتال.. على النحو الذى تهيأ لضرار رضي الله عنه ، فى حروب الردة مع خالد بن الوليد ، بل وفى فتوح

---

(١) الاصابة : ترجمة أرطاة بن سهية ، والخبر فيه مروي عن هشام بن الكلبي ؛ قال : أخبرنا محرز بن جعفر مولى أبى هريرة ؛ قال : دخل ارطاة .. الخ .

العراق والشام بعدها على النحو المعروف فى تاريخ ضرار ..

اذن فهناك مبالغة فى حقيقة عمر أرطأة حينما دخل على عبد الملك .

واذا ذهبنا نستعرض نص دخوله على عبد الملك فى كتاب (الأغاني)(١) ، لا نجده يحدد عمره حينذاك ، ولكنه يكتفى بالقول : انه قد أسنّ .. يقول النص :

« دخل أرطأة على عبد الملك بن مروان وقد أسنّ فقال له : كيف حالك يا أرطأة ؟ قال ضعفت أوصالى ، وضاع مالى ، وقلّ منى ما كنت أحب كثرته ، وكثر منى ما كنت أحب قلته ..!) .

على ان هذا الخبر سيأتى كاملا ان شاء الله فى موضعه وانما سقت هذه الفقرة منه الآن ؛ دليلا

---

(١) الأغانى : ترجمة أرطاة .

على ان أبا الفرج فى الأغانى ، لم يحدد عمره حين وفادته تلك على عبد الملك .

أما وفاته ، فنجد بعض المصـــادر تحددها بسنة ست وثمانين للهجرة (٧٠٥ م)(١) ، كمـــا يقـــول بعضها انه بقي الى زمن سليمان بن عبد الملك أو بعده(٢) ..

وعلى أية حال ، فكل ذلك يدل على انه قد 'عمِّر طويلا لأن سليمان بن عبد الملك قد توفي سنة ٩٩ هـ

كان أرطأة يكنى أبا الوليد .. فهو يقول :

رأيت المـــرء تأكلـــه الليـــالى
كأكـــل الأرض ســـاقطة الحـــديد

وما تبـــقى المنيـــة حـــين تأتي
عـــلى نفس ابن آدم مـــن مزيـــد

وأعـــلم انهـــا ســـتكر حتى
تـــوفى نـــذرها بأبي الوليـــد(٣)

---

(١) الوافى بالوفيات ج ٨ ص ٣٤٨ ترجمة ابن سـهية رقم ٣٧٨٣ يذكـر ذلك نقلا عن سبط ابن الجوزي .
(٢) سمط اللآلى ص ٢٩٩ المجلد الأول .
(٣) الأغانى : ترجمة أرطاة .

ولكننا لا نجد في أخباره شيئاً عن ابنه الوليد ان كان له ابن يحمل هذا الاسم ..

كمـــا نعرف من نصوص شعره ، ان له قصيدة رثاء فى ابن له يسمى عمراً .. توفي وهو طفــل ، وجزع لوفاته جزعاً كبيراً(١) .

ونعرف من هذا الخبر ان أم الطفل تدعى سلمى .. يقول الخبر :

« كان لأرطأة بن ســهية ابن يقال له عمرو .. فمات فجزع عليــه أرطأة ، حتى كاد عقله يذهب ، فأقام على قبره ، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولا .. ثم ان الحي أراد الرحيل بعد حول لنجعة(٢) فغدا على قبره فجلس عنده ، حتى اذا حان الرواح ناداه : رح يا ابن سلمى معنا .. فقال له قومه : ننشدك الله فى نفسك وعقلك ودينك .. كيف يروح معك من

---

(١) الأغاني : ترجمة أرطأة .
(٢) أي انهم قصدوا الانتقال الى مكان آخر به خصب .

مات 'مذ حول ؟! فقال : انظرونى الليلة الى الغد .. فأقاموا عليه .. فلما أصبح ناداه : 'أغد' يا ابن سلمى معنــا .. فــلم يزل النــاس يذكرونه الله ، ويناشدونه .. فانتضى سيفه .. وعقر راحلته على قبره .. وقال : والله لا أتبعكم فامضوا حيث شئتم أو اقيموا .. فرقّوا له ورحموه فأقاموا عامهم ذلك، وصبروا على منزلهم ، وقال أرطأة يومئذ فى ابنــه

وقفت عــلى قــبر ابن سلمى فــلم يكن
وقــوفى عليــه غــير مبكى ومجــزع

هل انت .. ابن سـلمى ان نظـرتك رائـح
مع الركب أو غاد غـداة غــد معى ؟(١)

★★★

---

(١) لا يفوتنا هنا أن نلتفت الى هـذا النداء المكرر الذى يخاطب فيـه أرطأة ابنه فيقول : ابن سلمى .. ينسبه الى امه .. تماماً كما هو ابن سهية ولعل عقله الباطن يريد أن يلتمس من ذلك تبريراً خفياً فى نسبته تلك ..

موطنه

نستطيع أن نستنتج من شعر أرطأة ، ان منازله كانت قريبة من منازل طيء ، أو في المنطقة الواقعة بين تيماء وجبلي طيء .. فقد ذكر ثنية (لفلف) ، وأشار انها مشرفة على منازله ، وهذه الثنية تقع بين تيماء وجبلى طيء ..

فقد ورد في أخباره ، انه أتى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان ، عام الجماعة ، وهنأه بالظفر ومدحه ، وأطال المقام عنده ، فأرجف أعداؤه بموته، فلما رجع ، بعد أن امتلأت يداه بالأعطيات، بلغه ما كان منهم فقال فيهم :

اذا ما طلعنا من ثنية لفلف

فخبّر رجالا يكرهون ايابي :

وخبرهُم انى رجعت بغبطة

أحدّد أظفاري ، ويصرف نابى

وانى ابن حــــرب لا تـــزال تهـــرنى

كلاب عــــــدوى أو تهــــرّ كــــلابي(١)

ولــكن أرطأة لم يكن يستقر فى منزل واحد من دياره .. بل كان مع قومه ينتجعون الكلأ من مكان الى آخــر .. يدل على ذلك خبره عند قبر وليــده عمرو ، فقد أراد قومه أن يتحولوا من منزلهم ذلك الى آخر مخصب .. ولكن أرطأة أبى أن يتحول .. واضــطر قــومه الى الصــبر على محلهم الممحل الى حول ..

كما انه يذكر جبل رمّان ، وانه نزله مجاوراً لحبيبته (وجزة) التى جاورت قصر العذيب .. حيث قضى أياماً سعيدة :

ومــــن عجبِ الأيــــام أن كـــلّ منزل

لوجــــزة من أكنــــاف رمان دارسُ

(١) الأغاني : ترجمته ، وينبغى أن يلاحظ أنه توجد تيماء أخرى غير تيماء المشهورة (تيماء السموأل) ربما كانت هي المقصودة ، وانها المجاورة لجبل لفلف .

وقد جاورت قصر العذيب فما ُيرى

بَرمان ، الا ساخط العيش بائس

... لقد طال ما عشنا جميعاً وودنا

جميع ، اذا ما يبتغى الانس آنس(۱)

وجبل رمان الذى يتحدث عنه الشاعر جبل معروف بهذا الاسم الى اليوم ، يقع فى عالية نجد ، وجهته الشمالية الغربية في أرض طيء(۲) ولا بد

---

(۱) الأغانى : ترجمته .

(۲) ص ۱٥۷ و ۱٥۸ من ج ٥ من صحيح الأخبار لابن بليهد ، الطبعة الثانية . وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان رمان ، فقال انه بفتح أوله وتشديد ثانيه ، وهو فعلان من رممت الشيء أر ُمه وأ ِرمه رما ومَرمة ، اذا أصلحته ، وهو جبل فى بلاد طيء فى غربي سلمى أحد جبلى طيء ، واليه انتهى فل ّ الردة يوم بزاخة ، فقصدهم خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ، فرجعوا الى الاسلام ، وهو جبل فى رمل وهو ماسدة . قال الأسدى :

أجدى لا أمسى برمان خالياً ... وغضوَر الا قيل أين تريد ؟

وقال طفيل الغنوي :

ومن قيس الثاوى برمان بيته ... ويوم حقيل فاد آخر معجب

وقد أورد ابن بليهد فى صحيح الاخبار ، قول ياقوت ، ثم قال رمان جبل معروف فى عالية نجد الشمالية يشترك فيه قبيلتان عظيمتان فى الجاهلية هما قبيلة طيء ، وقبيلة بنى أسد ، وأما الجهة التى تختص بها بنو أسد فهي الجنوبية منه ، والقرى المحيطة بتلك الجهة وهي (الروضة) و (المستجدة) وهذه الجهة هي التى تلى بلد (سميراء) عاصمة بنى أسد . انظر ياقوت حينما قال : واليه أنتهى فل ّ أهل الردة يوم بزاخة ، وهم بنو أسد ، فلولا ان هذا الجبل لهم لما قصدوه ، وأما الجهة الثانية التى تملكها طيء فهي جهته الشمالية الغربية المجاورة لمنهل (سقف) ومنهل (غَضوَر) .

أن قصر العذيب فى المنطقة نفسها ، وليس المقصود هنا قصر العذيب الذى بالكوفة الذى أشرف منه سعد بن أبى وقاص فى حرب القادسية على سير المعركة .. فشتان ما بين الموضعين ..

ونستطيع أن نستنتج أن الشاعر كان يسكن فى منطقة قريبة من مدينة حائل اليوم ، ولكنه كان يتنقل مع قومه طلباً للكلأ فى مناطق قبيلته ، أو مناطق القبائل الحليفة كما هي عادة القبائل العربية التى تعيش على الرعي .

وتدل سيرة أرطأة ، انه لم يفارق دياره الى الحواضر يسكنها .. بل لقد كان شديد الارتباط بموطنه لا يكاد يغادره الا لحاجة .. حيث يتردد على الشام مادحاً لمعاوية بن أبى سفيان ، أو لعبد الملك ابن مروان .. حقاً انه قد يطيل المكث بالشام ، ولكنه لا يلبث أن يعود الى موطنه .. كما مر بنا فى القصة السالفة حيث طالت اقامته حتى أرجف أعداؤه بموته ..

ويبدو أنه كان اذا قدم دمشق ، ينزل (دير الماطرون) ـ بكسر الطاء ـ وهو موضع قرب دمشق ، حيث يقول :

أرقت بدير الماطرون كأنني
لسارى النجوم آخر الليل حارس

وأعرضت الشعرى العبور كأنها
معلّق قنديل عليها ، الكنائس

ولاح سهيل عن يميني كأنه
شهاب نحاه ، وجهة الريح ـ قابس(١)

ونستشف من هذه الأبيات ، انه لم تكن تطيب له الاقامة فى غير دياره ..

وكما كان أرطأة شديد الارتباط بدياره .. ومنازله فى البادية .. فقد كان أيضاً شديد الانتماء

---

(١) النص فى معجم البلدان ؛ مادة (دير الماطرون) وقد ورد فيه فى البيت الثالث (نجاة) بالجيم والتاء ، والصحيح الذى تقتضيه الصورة هو ما أثبته (نحاه) بالحاء والهاء .

وسهيل والشعرى نجمان ، ونحاه بمعنى وجهه ، والقابس الذى يطلب النار أو الضوء . والأبيات تذكر بقول أبيه ضرار :

أرقت ببانقيا ، ومن يلق مثلما   لقيت ببانقيا من الحرب يارق

الى قومه من بنى مرة .. على الرغم مما ذكرته عن انتسابه أصلا الى بنى أسد ولكنه لم يكن يذكر انتسابه هذا الا فى حالات نادرة ..

فقد غضب حينما عيره بعض بنى مرة بأنه دخيل فيهم وانه ابن الأزور .. فقال لهم :

فاذا خمصتم قلتم : ياعمنا

واذا بطنتم قلتم : ابن الأزور ..

بل لقد كان أرطأة على العكس ، شديد الاعتزاز بانتمائه الى بنى مرة .. وهو يفخر بذلك ، كلما أتيحت له مناسبة .. بل قد يغلو فى الانتساب والافتخار والاعتزاز .. فى بعض أشعاره .. حتى ليحسبه قارئه أنه ممعن فى انتسابه فى آل مرة .. يضرب فى ساداتهم بيده .. بل برجله .. ثابتة فيهم عروقه كما تتسرب عروق النبتة الصحراوية التى تغور فى الأعماق فلنسمعه يقول :

أنا ابن عقفان معروف له نسبى

الا بما شاركت أم على ولد

... أنا ابن صرمة ان تسـأل خيـارهمُ
أضرب برجـلـيَ فى سـاداتهم ويدى
وفى بنى مـالك أم وزافـرة
لا يدفـع المجـد من قيس الى أحـد
ضربت فيهـم بأعـراقي كمـا ضربت
عـروق ناعمـة في أبطـح ثئـد
جـدى قضـاعة معـروف ويعـرفنى
جبـار فيـدة أهـل السرو والعدد(١)

ولـكن عقدة النسب تظـل تطـارد أرطأة على نحو ما .. فهذه مهاجاته مع شبيب بن البرصاء ، تدور على محور رئيسى ؛ هو رغبـة كل واحد من الشـاعرين أن ينفي صاحبه من عشيرته .. ونحن نلاحظ أن شبيباً ، أيضاً ، انما ينسب الى أمه .. تماماً كأرطأة .. ويتجلى لمن يتتبع هذه المهاجاة ؛ ان أرطأة يتقمص الأصالة فى قومه .. فيعير (شبيباً) قائلا :

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة .

ألا مبلغ فتيان قومي بأنني
هجاني ابن برصاء اليدين ، شبيبُ

وفي آل عوف ، من يهود قبيلة
تشابه منها ناشئون وشيب

أبي كان خيراً من أبيك ولم يزل
جنيباً لآبائي وأنت جنيب

وما زلت خيراً منك ....
......(١)

... فلو كنت عوفياً عَميت واسهلت
كداك ، ولكن المريب .. مريب..(٢)

وفى البيت الأخير من هذه القطعة ، يجعل (أرطأة) العمى أمارة على بنى عوف ، وأن المفروض فى أي عوفي ، أن يصاب بالعمى ، متى تقدمت به السن مادام عوفياً أصيلا .. أما اذا لم يصب به فهو

---

(١) حذفت بقية البيت لما فيه من فحش كذلك بيتين تاليين .

(٢) الأغانى : ترجمة أرطاة .

مغموز النسب ، ويعدّ ذلك مطعناً فى أصالته .. وعيباً يُعيّر به ..

يروى الاصفهاني ، بعد ايراده الأبيات السابقة انه لما قال أرطأة هذا الشعر فى شبيب بن البرصاء كان كل شيخ من بنى عوف ، يتمنى أن يعمى ، وكان العمى شائعاً فى بنى عوف ، كلما أسنّ منهم رجل عمي ، وان أرطأة عُمِّر ولم يَعم ، فكان شبيب يعيره بذلك ، ثم مات أرطأة وعمي شبيب ، فكان يقول بعد ذلك ليت أرطأة عاش حتى يرانى أعمى ، فيعلم انى عوفي(١) .

واذا صح اطراد هذه القاعدة .. فان عدم اصابة (أرطأة) بالعمى رغم طعنه فى السنّ ، لدليل جديد على انه ليس عوفياً حقاً ..

---

(١) الأغانى : ترجمة أرطأة ، وقد عقب مصحح الكتاب ، وهو الشيخ (أحمد الشنقيطي) فى طبعته ، عند قوله فعمر أرطأة ولم يعم . بأن المناسب (فعمر شبيب ولم يعم ، فكان أرطأة ..) الخ ولكنى أرى ان السياق صحيح.. وان الذى عُمّر أرطأة .. وأحسب أن شبيباً كان أصغر منه سناً ، فلما تقدمت به السن ، بعد موت أرطأة عمي ، اطراداً مع القاعدة ، وقد جاء الخبر فى صيغة أخرى أيضاً فى ترجمة شبيب بن البرصاء فى الأغانى .

وأذكر ، بمناسبة ايراد هذه الأبيات ، ان (أرطأة) دخل مرة على (عبد الملك بن مروان) ، فاستنشده شيئاً من أشعاره ، مما كان يناقض به شبيب بن البرصاء ، فلما أنشده :

أبى كان خيراً من أبيك ولم تزل
جنيباً لآبائى ، وأنت جنيب

فقال له عبد الملك : كذبت . شبيب خير منك أباً(١) ..

فلما أنشده :

وما زلت خيراً منك .. الخ

قال له عبد الملك : صدقت . أنت فى نفسك خير من شبيب .

---

(١) أورد الخبر صاحب الأغانى أيضا فى ترجمة شبيب بن البرصاء ، ثم عقب على قول عبد الملك بقوله : وكان أرطاة أفضل من شبيب نفسا .. وكان شبيب افضل من أرطاة بيتاً (ولم يقل أبا) . وعندى ان هذا يدل على اقتناع أبى الفرج بأبوة ضرار بن الأزور لأرطاة .

يقــول صــاحب الأغاني : فعجب من حضر من معرفة عبد الملك مقادير النــاس على بعدهم منه فى بواديهم ، وان الأمر كان على ما قال ، كان شبيب أشرف أباً من (أرطــأة) وكان (أرطــأة) أشرف فعلا ونفساً من شبيب (١) ..

على اننى لا أود أن أترك هذا الخبر على علاته دون تعليق ، ذلك انه فى الوقت الذى أضيف فيــه شــهادة الخليفة الأموي الى رصيد أرطأة من الثناء عليه شخصياً ، الا اننى أقف عند غض عبد الملك من شأن والد أرطأة .. بل لا أشك ان المقصود بأبيه هنا انما هو أبوه بالتبنى ، أعنى زفر .. أما (ضرار بن الأزور) رضي الله عنه ، فله من المكانة الرفيعة ، مجداً وشرفاً وبطولة .. ما يجعله بعيداً عن قصــد الخليفة الأموي .

★ ★ ★

---

(١) الأغانى : ترجمة أرطاة وهذا النص يفيد أن أرطاة كان يعيش فى البادية ، مصداقاً لما سلفت الاشارة اليه ..

ملامح من حياته

كان أرطأة يفتخر بقوة شكيمته وقتاله .. وبكرمه وسخائه .. وبمروءته وعطفه على ذوى رحمه .. وبحسن وفائه لوالدته التى يكنّ لها الكثير من التقدير لعنايتها بتربيته واحتضانه وتمسكها به ..

نجد فى اشعاره صورة رائعة لكرمه .. فهو فى خدمة ضيوفه حتى ولو قدموا آخر الليل .. تهرّ كلابه فرحاً باستقبالهم .. يقول أرطأة :

وانى لقوّام لدى الضيف ، موهنا
اذا أغدف السترَ البخيلُ المواكلُ
دعا .. فأجابته كلاب كثيرة
على ثقة منها ، بأنى فاعل ..
وما دون ضيفى من تلاد تحوزه
لى النفس ، الا أن تصان الحلايل(١)

---

(١) معجم البلدان ، مادة سامراء . وجاء به فى البيت الثالث بلاد بدلا عن تلاد والصحيح ما أثبته اذ يقتضيه السياق .

فهو ليس كريماً فحسب ، ولكنه يقوم على خدمة ضيفه حتى لو جاء موهنا .. أي فى ساعة متأخرة من الليل ، لا يصده عن ضيفه ستر أو حجاب .. كما يحتجب البخلاء خلف الستور .. ومتى طرق ضيفه هرّت اليه كلاب كثيرة ، تدل على يسر صاحبها وكرمه .. على يقين منها أن صاحبها يسرّ عادة باستقبال أضيافه .. حيث لا يدخر عن ضيفه شيئاً مهما غلا .. فكل شيء مباح للضيف الا حلائل النساء ، فحق هؤلاء الصون كل الصون .

وفى شعره أكثر من نص يدل على كرمه .. بل لقد وصفه بذلك صاحب الأغاني ، حينما قال : كان امرء صدق ، شريفاً فى قومه جواداً .. ومن الطبيعي أن لا يشرف بين العرب ، ولا يرتفع ذكره الا الشجاع الجواد ..

ويفخر أرطأة بشجاعته ، فيقول ، مخاطباً شبيب ابن البرصاء الذى تمنى لقاءه :

ان تلقنى لا ترى غيرى بناظرة
تنس السلاح ، وتعرف جبهة الأسد

ماذا أظنــــك تغــــنى في أخي رصــــــد
من أســد خفان ، جابى العين ذي لبــد(١)

ويقول أيضاً ، يرد على توعد زميل بن أبير قاتل ابن دارة(٢) :

يا زمـــــل انى ان أكـــــن لك ســـــائقاً
تركض برجليـــــك النجــــــاءَ وألحـــقِ
لا تحســـــبنّى كامــــرئ صادفتَـــــه
بمضـــــيعة فخدشـــــته بالمرفـــقِ
انى امـــــــرؤ أوفى اذا قارعتـــــكم
قصــب الرهــان ، وما أشــا أتعــرق(٣)

---

(١) جابى العين ، وجائب العين : شديد النظر (الأغانى) ترجمة أرطاة .

(٢) زميل بن أبير هو قاتل سالم بن دارة ، وسالم هذا اسم أبيه مسافع ، ودارة انما هي أمه ، مثله مثل أرطاة ، وشبيب . وكان سالم شاعراً هجاء ، وهو من بنى أسد ، وسميت أمه دارة لجمالها وهو من ولد عبد الله بن غطفان ابن سعد . وقد هجا ثابت بن رافع الفزاري وقال فيه :

لا تأمنن فـزاريا خلوت به ... على قلوصك واكتبها باسيار

فقتله زميل بسبب ذلك وقال :

أنا زميــــل قاتل بن داره ... وراحض المخـزاة عن فزاره

(٣) الأغانى : ترجمة أرطاة . ومعنى الأبيات : اننى يا زميل اذا نازلتك ساجعلك تطلب الفرار ، راجلا غير راكب .. وسالحق بك مهما هربت .. فلا تحسبنى كابن دارة الذى قتلته صدفة ، بمكان قفر ، فانا امرؤ أنال فى القتال قصب السبق ، وأغلب اذا صممت على الغلبة ..

وهو يفتخر أيضاً، بأنه أجلى أقواماً عن أماكنهم:

أجـــليت أهـــل البـــرك عن أوطانهـــم
والخمس من شـــعيا وأهـــل الشربب(١)

ومن أخـــلاق (ارطأة) انه شـــديد الأنفـــة .. لا يقبل ضيماً ولا يقـــره .. ولا يقبل وقوعه على أحد من خاصته أو أهله أو ذوى قرباه ورحمه .. يشارك رهطه سراءهم وضراءهم .. يفرح لفرحهم، ويأسى لمآسيهم ..

حينمـــا خاصمت امرأة من بنى مـــرة .. حيث ينزل ارطأة ، بين قوم ربيبه ـ حينما خاصمت تلك المرأة أمه ســـهية ، ولعلها استغلت وضعها لأنهـــا أخيذة .. وليست من القوم .. وان ابنها ليس منهم .. فاستطالت عليها وسبتها ، غضب أرطأة .. غضباً شـــديداً ، فلم يكتف بسب المرأة .. بل ذهب الى أبعد من ذلك .. فضربها .. حتى عرّض نفسه للوم

---

(١) النص من معجم البلدان مادة شربب بضم الشين وسكون الراء ، ثم باء موحدة مضمومة مكررة : وهو واد فى ديار بنى سليم .

رهطه .. وقالوا له موبخين : مالك تدخل نفسك في خصومات النساء ؟ فقال مدافعاً عن نفسه ، مظهراً حميتــه لأمه ، مؤكداً ان على بنى مرة أن يدركوا أنه لا يقر ضيماً .. وانه حينما يستفزه الشر ، فانه يلبى دعوته .. وأنه لا يخص بحمايتــه ، خاصــة أهله ، وانما هو يحمى حمى العشيرة كلها :

يعيّرني قـــومي المجـــاهلَ والخنـــا
عليهـــم .. وقالوا : أنت غـــير حـــ لميم
هـــل الجهـــل فيكـــم ان أعاقب بعـــدما
تُجـــوز سبيِّي .. واســتُحل حـــريمي ؟
اذا أنا لم أمنـــع عجـــوزي منـــكم
فـكانت كأخـــرى ، في النســـاء ، عقـــيم
وقـــد علمت أبنـــاء مـــرة اننـــا
اذا مـــا اجتـــدانا الشر كل حمـــيم
حمـــاة لأحســـاب العشـــيرة كلهـــا
اذ ذم يوم الـــروع كـــل ملـــيم(١)

(١) الأغانى : ترجمة أرطاة .

واذا كان قوم أرطأة .. قد وصفوه بأنه غير حليم .. فان هذا يستوقفني قليلا لتقرير حقيقة تجسدها سيرة أرطأة .. وهي أنه كان عاطفياً شديد التأثر .. فهو يغضب بشدة .. كما فى هذه الحادثة وهو يحزن بشدة ، كما فى حادثة فقده لابنه الطفل عمرو .. كما مرّ بنا ..

ونجد (أرطأة) أيضاً يبكى قتلى رهطه يوم (بنات قين) وهو يوم من أيام العرب المشهورة :

أعاذلتى ألا لا تعذلينا
أقلّى اللوم ، ان لم تنفعينا
فقد أكثرت .. لو أغنيت شيئاً
ولست بقابل ما تأمرينا ..
فلا وأبيك لا ننفك نبكي
على قتلى هنالك .. ما بقينا(١)

---

(١) الاغانى : ترجمة أرطاة والبيتان الأولان مما يغنى به من أصوات (الاغانى) ، وهى مناسبة الترجمة لارطاة فيه .

أرطأة .. ووجزة

وفى حياة أرطأة بن سهية قصـــة حب عجيبة .. تدل على عاطفة جياشة مجنحة .. وفيها وفاء نادر ، يشفّ عن نفس كريمة .. انها قصـــته مع حبيبته (وجزة)(١) وهي فتاة من قبيلة (غني)(٢) ..

كان طلاب الكلأ والمرعى يجمع بين قبيلة الشاعر أو رهطه .. وبين قبيلة حسنائه وجزة ، فقد كان بينهما حلف أو تفاهم .. وجوار فى انتجاع الكلأ فى بعض الأحايين .

كان هناك الشباب .. ونضرة الربيع في النفس والأرض .. وكانت دنياهما تبدو مقبلة حلوة ..

---

(١) بفتـح الواو وسكون الجيم ، ويقال رجل وجز أي سريع الحـركة ، وامرأة وجزة .

(٢) غني بن أعصر : بطن من قيس بن عيلان من العدنانيـة ، مجـاورين لطيء . (معجم قبائل العرب) .

تجمعهما المراعى السندسية ، ويرعى هواهما القمر السارى .. فكانت لهما هناك لقاءات فى غفلة من الزمن والرقيب ..!

هنـــاك بجـــانب رَمّان ، وقصر العــذيب .. ألهبت (وجزة) عاطفة الشاعر الرقيق ، وشحذت وجــدانه .. وأنطقته على ما يبدو بكثير من شــعر الغــزل ، فهــذا أبو الفرج يصرح بأن أرطأة ذكر وجزة ونسب بها في مواضع مع شعره(١) .

ولكن الأيام ، لم تصبر طويلا على هذا الحب ، الذى نشأ بين الشاعر وملهمته من غنىّ ، ولا على هذه الســعادة الغامرة تربط بين هذين القلبين .. فمــا لبث أن تدخل الواشــون بينه وبينها ، ونفس عليهما صفاءهما النفوس المحشودة بالحسد والحقد فنجحوا فى أهدافهم .. ووقعت القطيعة بين الشاعر وحسنائه ، فاذا الود جفاء ، واذا القرب نأي ، واذا

---

(١) الاغانى : ترجمة أرطاة .

الأنس بها وحشة .. واذا ربيعهما جدب ، واذا آثارهما عفاء ..

وانطوت الأيام ، وتداركت .. فاذا الشاعر ليس فى يده الا الذكريات .. واذا هو يستجرها .. ويتحدث بها فى شعره ..!

واذا هو ان مرّ بقرب مواطن الذكرى ، حمل أصحابه حملا ، على أن يعوجوا بدار وجزة مهتدياً الى تلك المواطن بالنجوم ، كما يهتدى الاعرابي الحذق .. فاذا هم معه يثنون مطيهم عن القصد الى ما أراد شاعرهم .. مشفقين عليه ، راثين لحاله .. فقد رأوه لا يهنأ بمشرب ولا مأكل ، ولا يأنس بحديث ..

ولكن .. هذه ديارها بلقع .. ليس الا الجدب والبؤس ..

وانها الأيام .. وكفى .

هذا أرطأة يحدثنا حديث ذكرياته :

وداويـــة نازعتهـــا الليـــل زائراً
لوجـــزة تهـــديني النجـوم الطوامس(١)

أعــوج بأصـــحابي عن القصــد تعتــلى
بنــا ، عرض كسريهــا المطي العوامس(٢)

فقـــد تركتـــني لا أعيـــج بمشرب
فأروى .. ولا ألهـــو الى مــن أجالس(٣)

ومن عجب الأيـــام أن كـــل منـــزل
لوجـــزة من أكنـــاف رمان دارس(٤)

وقـــد جاورت قصر العـــذيب فمـا يرى
برمـــان الا ســـاخط العيش بائس

---

(١) فى اللسان مادة طمس : طموس الكواكب ذهاب ضوئها ، واورد قول ذي الرمة :

فلا تحسبي شجّي بك البيد كلما تلألأ بالنور النجوم الطوامس

وأحسب المقصود : النجوم الخافتة ، أو البعيدة لأن الطامس فى اللسان أيضا البعيد .

(٢) المطي العوامس التى لا تهتدى الى طريقها ، واعوج بمعنى انثنى ، وعرض كسريها : يقصد الداوية . أي الصحراء .

(٣) أعيج : أعبأ أو اكترث أو انتفع . جاء فى اللسان :

ولم أر شيئاً بعد ليلى ألذه ولا مشربا أروى به فاعيج

(٤) سبق ذكر رمان • ودارس : ممحى .

طلاب بعيـــد .. واختـــلاف من النـــوى
اذا مـــا أتى من دون وجـــــــزة قادس

لئن أنجـــح الواشـــون بينى وبينهـــا
وطال التنـــائى ، والنفـــوس النفائس

لقـــد طال ما عشـــنا جميعـــاً وودّنا
جميـــــــع اذا ما يبتـــغى الأنس آنس

كـــذلك صرف الدهـــر ليس بتـــارك
حبيبـــاً ، ويبقى عمره المتقـــاعس(١)

نعم .. أما أيامهما معاً .. فقد تصرمت .. وأما الزمن ذاته فبقى عمره الطويل المديد متقاعساً ..

ولـكن الأيام على جفوتها .. عادت فجمعت بين الحبيبين فى لقاء عجيب .. بعد أن اهترأ الشباب ، وذهبت نضرته .. وبدت قسوة الزمن على ملامح الحسـناء التى كانت .. فقد أصبحت وجزة عجوزاً هرمة .. ضمت الى كبر السن فقراً وعوزاً ..

---

(١) المتقاعس : البطىء .

وجلس اليهــا أرطأة .. يتحدث الى الجمال الآفل .. ويستعيد الذكريات استعادة الشاعر الذى يوقظ أطياف الماضى ليناجيها ..

وأدرك الشاعر من خلال حديثها ما أصابها من فقر وحاجة ، فما انصرف عنها ، حتى ســاق اليها عشرة من ابله عـَقـَلها بفنائهــا .. ثم مضى تجيش نفسه بالكثير من الأحاسيس ، وبالكثير من الشعر :

مــــررت عـــلى حـــدثى برمان بعـــدما
تقطـــع أقـــران الصـــبا والوســـائل

فـــكنت كظـــبي مفلت ثم لـــم يـــزل
به الحـــين حتى أغلقتـــه الحبـــائل(١)

على انه ، وان لم يصل الينا من حديث ذكرياته بعد هــذا اللقاء الأخـير الا هذان البيتان ، فان فيهما الدلالة الكافية ، على مبلغ ما أثاره هذا اللقاء

---

(١) أغلقته الحبائل : أي أطبقت عليه الشباك

من مشاعر فى نفس الشاعر ، بدا بعده ، وكأنما قد عاد الى هواه القديم ، أو عاد اليه هواه القديم ..

واننا لنجد تصويراً لواقع حاله في البيت الذى يقول فيه :

فقلت لها : يا أم بيضاء انه
هريق شبابي .. واستشنّ أديمي(١)

ونلاحظ أنه فى هذا البيت المفرد يخاطب أم بيضاء التى لا نعلم من أمرها شيئاً ، ولا ندرى أهي هي وجزة ، أم حسناء أخرى ..

وكم هو جميل هذا التصوير للشباب المهراق ، والأديم الذى استشن ولحقه القدم ..!

★ ★ ★

---

(١) البيت من سمط اللآلى ص ٣٢٣ .

موقفه من الصراعات السياسية والأدبية :

بالرغم من أن العصر الذى عاش فيه أرطأة كان عصر نزاع سياسى ، تمثّل فى انقسام الرأي الاسلامي العام ، بين الامام علي ، وبين معاوية ، أو بين البيت الأموي ، والبيت العلوي ، ثم بين الأمويين ، وعبد الله بن الزبير ومن شايعه .. وان بعض الشعراء وخاصة المشهورين منهم قد تأثروا بهذه الصراعات السياسية ، واتخذوا مواقفهم الى جانب هؤلاء أو أولئك ، أو تذبذبوا بينهما بحسب المصلحة أو الخوف ..

بالرغم من ذلك ..

وبالرغم من الصراع الأدبي الحاد ، الذى تمثل أيضاً فى الخصام الشعري الذى نشب بين جرير والفرزدق ، وانقسام لفيف من الشعراء الى جانب هذا أو ذاك .. حتى عرف هذا العهد بعهد المناقضات الشعرية الحامية ، التى انفرد بها تاريخنا الشعري ..

بالرغم من كل ذلك .. فاننا نجد أن شاعرنا لم يزجّ بنفسه فى هذه الصراعات اطلاقاً ..

ولكن هذا الحكم يظل قائماً فقط فى حدود ما وصل الينا ، حتى الآن من شعر أرطأة.. أقول هذا احتراساً .. فقد تكشف الأيام عن ديوان أرطأة أو عن مزيد من شعره، يصح أن يتغير به هذا الحكم، الى النقيض .. أو على الأقل الى الجرح ..

اننا حينما نستعرض ما وصل الينا من شعر أرطأة ، وجلّه من كتاب (الأغاني) ، لا نجده قد تعرض للمشكلة السياسية التى كانت قائمة ، سواء بوجه سافر صريح ، أو تحت طي الكتمان والخفاء .

صحيح ان أخباره تدل على انه امتدح معاوية ، ومروان بن الحكم ، وكان يرتاد يحيى بن الحكم .. وانه امتدح أحد السفاحين ، ثم عاد فغضب منه ، وهجاه ، حينما حجب عنه أعطيته .. وانه كان ينتجع مجالس عبد الملك ..

كل ذلك صحيح ، وله شواهد من شعر أرطأة ، ماثلة للعيان .. ولكننا اذا استعرضنا ما وصل الينا

من هذه المدائح ، لم نجدها تتعرض البتة الى ذلك الصراع ، أو تميل الى المحاجة فى رأي سياسي ، أو تحزّب الى فئة ..

لقد كان أرطأة شاعراً من البادية ، يرتاد الخلفاء والأمراء والحكام ، فيمتدحهم ليأخذ من رفدهم وأعطياتهم ، ما تمتلىء به أكوار نياقه ثم يعود الى دياره ، لينفق كما ينفق السادة الأجواد .. ثم لا شيء وراء ذلك .. أي انه لم يكن يحمل رأياً سياسياً معيناً يدافع عنه .. أو يشغل نفسه وشعره به ..

ونعرف من سيرة أرطأة .. أنه كان منقطعاً أو شبه منقطع الى امتداح مروان بن الحكم ، وأخيه يحيى .. ولعل هذا الاتصال الوثيق جاء عن طريق يحيى بن الحكم بالذات ، الذى كان مصاهراً لبنى مرة(١) ، رهط أرطأة ، وكانوا يألفونه وينتجعونه،

---

(١) يذكر صاحب الأغانى فى ترجمة عقيل بن علفة المري أنه زوج اليه الخلفاء ، وأشراف قريش ، وان يزيد بن عبد الملك تزوج ابنته الجرباء ، كما تزوج ابنتــه أم عمرو ثلاثة نفر من بنى الحكم بن أبى العــاص وهم : يحيى ، والحارث ، وخالد ، ومما هو جـدير بالذكر هنا ان أم عقيل ، وأم شبيب بن البرصاء كانتا أختين أبوهما الحارث بن عوف المرى .

وكان أرطأة يفعل ذلك معهم ، وهو يفضلهم بشعره وبيانه ..

ومن الطبيعي ، والأمر كذلك ، أن تتوثق صلات أرطأة بمروان .. ونحن نعلم الدور التاريخي الهام بل الخطير الذى كان لمروان فى تثبيت جذور بنى أمية في الحكم ..

ان هذه الصلة المحكمة تجعلنا نتوقع أن يكون أرطأة قد التزم جانب الأمويين التزاماً شديداً .. ولكننا نجد ، حتى فى أدق المواقف ، انه يظل محتفظاً بحياديته ..

ولعل أوضح صورة لأدق المواقف التى أعنيها .. حينما استقر أمر الحكم لمروان بن الحكم ــ الذى يلتزمه وأخاه يحيى ــ بعد أن فرغ من الحروب التى كان بها متشاغلا ، وصمد لانفاذ الجيوش لابن الزبير لمحاربته ، فجاء الشاعر ليهنىء(١) ممدوحه .. وهي مناسبة يقتضى سياقها الانحياز الى جانب الممدوح .. ولكن أرطأة يتجنب هذا الموقف ببراعة

---

(١) الأغانى : ترجمة أرطاة .

... ويكتفى بأن يقول لمدوحه ، انك توليت الأمور وهي مضطربة فما زلت بها حتى استقامت لك ، ثم يمضى ليمتدح شجاعته واقدامه :

وسادت معداً على رغمها
قريش ، وسدت قريش غلاما

جعلت على الأمر فيه صغاً
فما زال غمزك حتى استقاما(١)

لقيت الزحوف فقاتلتها
فجردت فيهن عضباً حساماً

تشق القوانس حتى ينا
ل ما تحتها ، ثم تبرى العظاما(٢)

نزعت على مهل سابقاً
فما زادك النزع الا تماما

فزاد لك الله سلطانه
وزاد لك الخير منه فداما(٣)

---

(١) صغا : انحراف : غمزك : معالجتك .
(٢) القوانس : جمع قونس : الحديدة التى فى أعلى الخوذة .
(٣) النص من الأغانى ترجمة أرطاة . والأبيات مشروحة فى تاريخ الأدب العربى ـ الأدب القديم ، للدكتور عمر فروخ .

حقاً ان هنـــاك موقفاً دقيقا .. هو موقفـــه عند وقعة الحرة .

فقد قدم (مسرف بن عقبة المرى) المدينة وأوقع بأهـــل الحـــرة .. فجاءه قـــومه من بنى مرة فهنؤوه بالظفر ، واسترفدوه ، فطردهم ونهرهم وكان معهم أرطأة الذى أراد اســـترفاده .. وقام ليمدحـــه .. فتجهّمه بأقبح قول ، وطرده ..

فى هذا الموقف لم ينته اليـنـــا النص الذى أعده لمـــديح مسرف .. لنرى كيف يتفـــادى ذكـــر هـــذه الواقعة التى تعتبر جرحاً غائراً فى التاريخ العربي، ولكننا اذا طبقنا الخط العـــام فى مسار حياة أرطأة الى المدى الذى وصل الينا ـ نرجح أنه تفادى الخوض فى غمار الصراع السياسي مكتفياً بالمدح والاطراء .. على ان الخبر ينقل الينا هجاءه لمسرف ، بعد أن غضب منه ، دليلا حيـــاً على ان أرطأة لم يمـــدح الا مسترفداً ، ولم يهج الا غاضباً حرداً ..

لحى الله فـــودي مسرف وابن عمـــــــه

وآثـــــار نعـــــلي مسرف حيث أثـــرا

مررت علـــى ربعيهمـــا فـــكأنني
مـــررت بجبـــارين من سرو حمـــيرا(١)

ولعل مما يؤيد صحة هذا الذى أذهب اليه : من أن أرطأة شـاعر يلتمس الرزق بشـعره ، بغضّ النظـر عن أي مـوقف سـياسى ، فيمتـدح مـن يتوسم فيه الخـير ، ينتجعه ، كما ينتجع الـكلأ مع قـومه فى دياره .. اننـا نجد له مديحاً فى ثابت بن عبد الله بن الزبير .. ونحن نعلم الخصومة المستحكمة بين الأسرة الزبيرية والأموية .. فنعجب كيف يلتزم مروان بن الحـكم ، وأخاه يحيى بمدائحه ؟ وكيف يمتدح ثابت بن عبد الله بن الزبير .. صحيح اننا لا نعلم شـيئاً عن الظروف التى جعلته يمتدح هذا الأخير ولا متى امتدحه .. ولـكننا نخلص من مثل هذا الخـبر بما يدعم وجهة نظرنا من أنه يمتدح ممدوحه بغض النظر عن موقفـه السياسي .. انه يريد الجائزة .. وهي حسبه .. ولا يعنيه أن يدخل

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة .

فى تلك الصراعات السياسية التى كانت ناشبة فى عصره ..

لنر ما يقوله فى ثابت بن عبد الله بن الزبير وهل فيه ما ينم عن تحيزه للزبيرين ، أو انه مجرد مديح يستمطر به العطاء :

رأيت مخاضي أنكرت عبدانها
محل أولى الخيمات من بطن أرثدا
اذا راعياها أورداها شريعة
فعاما على دمن الحياض وصردا
ولو جارها ابن المازنية ثابت
لروّح راعيها ونـدا وأوردا(١)

فهو في هذه الأبيات الثلاثة لا يزيد عن امتداح الزبيري بالندى والجود ، وان ناقته تؤثر النزول الى جواره من أجل ذلك ..

★ ★ ★

---

(١) تهذيب ابن عساكر ص ٣٦٧ ج ٢ مطبعة روضة الشام ١٣٣٠ هـ . ويلاحظ قول أرطاة (ابن المازنية) ينسب ثابت بن عبد الله بن الزبير الى أمه ..

شعر ..

شعره

ليس بين يدي وأنا أكتب هـذه السـطور ، من شعر أرطأة الا نصوص متفرقة فى كتاب الأغاني .. وفى بعض مصادر أخرى قليلة أوردت أبياتاً قلائل ، أو شوارد أو شواهد شعرية قد لا تزيد عن البيت أو البيتين(١) .. على أن ما جمعه صـاحب الأغاني هو أوفرها حظاً ، وأكثرها تفصيلا على قلة ما أورد .. بالنسبة لشاعر فحل كأرطأة ..

ولعل فيما أوردت من قبل ، خلال البحث ، من نصوص شعر أرطأة ، ما يكشف عن شاعر أصيل ، يتميز أسلوبه الشعري ، بقوة العارضة الشعرية ، وتمكنها مع جزالة فى اللفظ ، ووضوح فى المعنى ، وجمـال فى الأداء ، محتفظاً برواء الشعر الجـاهلي وجهارته .

---

(١) سبق أن أشرت الى عمل الأستاذ صالح محمد خلف .

وقد أدرك النقاد القدامى بعض صوره المبدعة وسبقه ، مثل قوله فى وصف الخيل ، وهو من سبقه :

كأنّ أعينهـــا من طـــول ما جشـــمت
سـير الهواجــر ، زيت فى قـــوارير(١)

وقد طرق من أبواب الشعر ، ما كان مألوفاً على عهده .. فمدح الخلفاء الأُول فى العصر الأموي ممن عاصرهم ، وقد عاصر أكثر من خليفة ، اذ امتد به العمر من عهد معاوية الى ما بعد عهد عبد الملك بن مروان .. وقــد يبدأ مديحه بما اعتاد أن يفعــل معاصروه .. فالناقة قد طال بها السرى .. وبرّح بها المسـير المتواصل ، ولكن عزاءها أنها تقصــد كريماً سخياً .. الى آخر ما يضفى على ممدوحه من خلال ..

فها هو يدخــل على مروان بن الحــكم ، بعد أن أصبح خليفة ، ليهنئه قائلا :

---

(١) الشعر والشعراء : ترجمة أرطاة .

تشتكي قلوصي الي الوجى
تجر السريح ، وتبلى الخداما(1)

تزور كريماً له عندها
يد .. لا تعد .. وتهدى السلاما

وقل ثواباً له ، انها
تجيد القوافي .. عاماً .. فعاما(2)

الى آخر الأبيات .. وقد أجاد فى قوله :

وقل ثواباً له .. انها
تجيد القوافي عاماً فعاما ..

ولعلنا نلاحظ أنه جيد الاختيار لموسيقاه .. وانه ينسق بين ألفاظه تنسيقاً بارعاً ..

ولنتأمل قوله في هذه القصيدة .. بعد هذا البيت مباشرة :

وسادت معداً ، على رغمها
قريش .. وسدت قريشاً .. غلاما ..

---

(1) القلوص : الناقة الشابة .. والوجى .. رقة الجلد من كثرة المشي . السريح : قطعة من الجلد توضع على النعل ، وتشد بسير يسمى الخدام .
(2) في « تاريخ الأدب العربي » للدكتور عمر فروخ ، صوب تجيد بتجد اي تجدد القوافى عاماً بعد عام ، وهو أليق .
والنص من « الأغانى » ترجمة أرطاة .

ونحن لا نستغرب أن يطرب مروان لهذه القصيدة البديعة ، وان يأمر له بثلاثين ناقة .. يوقرها كلّها بُراً وزبيباً وشعيراً ..!

وقد جاء فى أخباره أنه كان يرتاد معاوية بن أبى سفيان وينشده شعره ، وانه كان يقبل عليه ، ويحتفى به ، ويرفده(١) ولا شك أنه قد امتدحه ، وان لم يصل الينا شيء من مديحه ..

كما ورد فى أخباره أنه كان يختص مروان بن الحكم وأخاه يحيى بمدائحه(٢) ..

وقد سبق أن رأينا شيئاً من مديحه لمروان ، وان لم نقف على مديحه لأخيه ..

كما جاء فى أخباره ، ما سبق أن ذكرته ، من أنه عاد من الشام الى بلده ، بعد أن امتدح عبد الملك ابن مروان ، وأطال المقام فى الشام ، حتى أرجف أعداؤه بموته ، ولكنه عاد محملا بالهدايا

---

(١) الأغانى : ج ١١ ص ١٣٩
(٢) الأغانى : ترجمة أرطاة .

والأعطيات(١) بيد أننا لا نجد نصوصاً مسعفة من مدائحه لعبد الملك ..

وأكثر ما وصل الينا من شعره ، هو الهجاء ، فقد اهتم أبو الفرج فى كتابه « الأغاني » بايراد عدد من أخبار مهاجاته ، مع نصوص من هجائه .. وذلك خلال ترجمته له .. وأشار الى بعض أولئك النفر الذين دخل أرطأة معهم فى معارك هجائية .. وأبرز هؤلاء شبيب بن البرصاء .. وقد استفاضت أخبار تهاجيهما ، حتى لقد دخل أرطأة مرة على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيبا فأنشده قصيدة بائية ، يقول فيها :

رمتك فلم تشو الفؤادَ جنوبُ
وما كل من يرمى الفؤادَ يصيبُ(٢)

وما زودتنا .. غير أن خلطت لنا
أحاديث .. منها صادق وكذوب

---

(١) الأغانى : ترجمة أرطاة .
(٢) لم تشو : لم تصب وجنوب : اسم امرأة ..

الا مبــــلغ فتيـــــان قـــــومي اننى
هجانى ، ابن برصـــاء اليـــدين ، شبيب

فـــلو كنت عوفيـّـاً ، عميتَ واســـهلت
كـــداك ، ولـــكن المــــريب .. مريب(١)

وقد بذل يحيى بن الحكم (أخو مروان) جهوداً للصلح بين شبيب وأرطأة .. فاصطلحا ، ولـكن لم يدم صلحهما ، وكانت بنو مرة ، تألف يحيى بن الحكم وتنتجعه لصهره فيهم

وهجا شـاعراً آخر هو زميل بن أبير .. ولـّجت بينهما الخصُومة .. وكان زميل هذا قد قتل رجلا يدعى سالم بن دارة .. وتوعد أرطأة أن ُيلحقه به .. قائلا : انى لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة .. ولكن أرطأة .. كان كفؤاً للتحدى ، ثابت الجنان ، لا يرهبه وعيد ولا تهديد .. اسمعه يقول :

يا زمـــل .. اني ان أكـــن لك ســـائقاً
تركض برجليـــك النجـــاءَ .. وألحق(٢)

---

(١) النص بتمامه في الأغاني : ترجمة ارطاة .
(٢) اي انني لو طاردتك .. لركضت تطلب النجاء .. ولكنى لاحقك مهما يكن الأمر .. وقد سبقت الاشارة الى هذه الأبيات .

لا تحسبنّي كامرىء صادفتَه
بمضيعة ، فخدشتَه بالمرفق(١)
اني امرؤ .. أوفى .. اذا قارعتكم
قصب الرهان .. وما أشا أتعرق(٢)

على انه من أجل الاستمتاع بهذه الصورة الفنية كاملة ، أورد رد زميل .. فقد أجابه قائلا :

يا ارط .. ان تك فاعلا ما قلتَه
والمرء ، يستحيى .. اذا لم يصدِق ..
فافعل ، كما فعل ابن دارة .. سالم"
ثم امش هونك سادراً لا تتق
واذا جعلتك بين لحيى شابك
الأنياب .. فارعد ما بدالك وابرق(٣)

ومن حسن الحظ أن أحداً منهما لم ينفذ وعيده ..

---

(١) أي لا تظنني كابن دارة .. الذى صادفته بارض مضيعة .. فغدرته .. فانى من طراز آخر ..
(٢) أي انني ساحصل فى نزالك على قصب السبق .. وأتعرق عظمك فلا اترك عليه لحما ..
(٣) النصان فى الاغانى ترجمة ارطاة .

وقـد نشبت بين أرطأة ، وبين شـاعر آخـر ، أيضـاً ، هو الربيـع بن قعنب معـركة هجاء .. يفصّل أبو الفرج فى « الأغاني » أسبابها ، ولجت بينهما الخصومة .. حتى قال الربيع فى هجو أرطأة من أبيات :

وما عاشـت بنـو عقفـان الا
بأحـلام كأحـلام الجـواري..(۱)

وقال أرطأة ، فيما قال من رده :

وأي النـاس أخبث من هبيـل
فـزاري وأخبث ريـحَ دار !(۲)

وكانت بينه ، وبين رجل من بنى أسد ، يقال له حيـان ، مهاجاة ، فتـدخل بينهما حباشة الأسدى فهجا أرطأة ، فقال فيه أرطأة من أبيات :

أبلغ حباشـة : انى غـير تاركـه
حـتى اذللّه .. اذ كـان ما كـانا

---

(۱) عقفان : بضم العين وسكون القاف : حي من خزاعة .
(۲) القصة والنصوص فى الأغانى ترجمة أرطاة .

البـــاعث القـــول ، يســـديه ويلحمـــه

كالمجتـدى الشـكَل ، اذ حاورتُ حيانا(١)

وقد يشترك مع غيره ، فى هجاء شخص واحـد فقـد جاء فى أخبـاره أنه نزل مرة ، هو وشـبيب ابن البرصـاء وُعويف القـوافي(٢) ، برجـل من أشجع ، كثير المال ، يسمى علقمة ، فأتاهم بشربة ممذوقة (أي لبن مخلوط بالماء) ولم يذبح لهم ، فلما رأوا ذلك منه ، قاموا الى رواحلهم فركبوها ، ثم قالوا : تعالوا حتى نهجو هـذا الكلب . فقـال شبيب :

أفى حــــدثان الدهـــــر ، أم فى قـــديمه

تعلمت .. ان لا تقرىَ الضيف .. علقما ؟

---

(١) أي ان حباشة هذا كالباحث عن حتفه بظلفه .. تدخل فيما لا يعنيه عندما حاورت حيان .. فسوف أذلله ولن أتركه .. والنص فى الأغانى ترجمة ارطاة ..

(٢) عويف القوافى هو عوف بن معاوية بن عقبة ، من بنى حذيفة بن بدر من فزارة ، شاعر مقل من شعراء العهد الأموي توفى حوالى سنة ١٠٠ هـ له ترجمة فى خزانة الأدب . وفى الاعلام .

وقال أرطأة :

لبثنــــا طــويلا .. ثم جاء بمـــذقة
كمــاء السـلاقي ، جانب القـَعب .. اثلمـا

وقال عويف :

فلمـــا رأينـــا انه شر منـــزل
رمينـــا بهن الليـــلَ .. حتى تخرما !(١)

وقد يعقب مديحه هجاء ، كما جاء فى قصته مع مسرف بن عقبــة المرى ، التى مرت بنا من قبل ، فقد جاء أرطأة ليمتــدحه فتجهم له بأقبح القول ، وطرده ..

وكان فى جيش مسرف رجل من أهل الشام ، من ُعذرة ، يقال له عمارة .. كان يرى أرطأة عنـد معــاوية بن أبى ســفيان ، وسمع شعره ، وعرف اقبال معاوية عليــه ورفدَه له .. فأومأ الى أرطأة فأتاه ، فقال له : لا يغررك ما بدا لك من الأمير ،

(١) النص بالاغانى : ترجمة أرطاة .

فانه عليل ضجر ، ولو قد صحّ ، واستقامت الأمور لزال عما رأيت من قوله وفعله ، وأنا .. بك عارف .. وقد رأيتك عند أمير المؤمنين (يعنى معاوية) ، ولن تعـدم منى ما تحب .. ووصـله .. وكساه ، وحمله على ناقة .. فقال أرطأة يمدحه ، ويهجـو مسرفاً :

لحى الله فـــودي مسرف وابن عمـــه
وآثـــار نعـــلى مسرف حيث أثـــرا

مـــررت عـــلى ربعيهمـــا فـــكأننى
مـــررت بجبـــارين من سرو حميرا(١)

على ان ذا العليـــا .. عمارة لم أجـــد
على البعـــد ، حسنَ العهـــد منه تغيرا !

حبـــانى ببـــرديه .. وعنس كأنمـــا
بنى فـوق متنيهـا ، الوليـدان ، قهقرا(٢)

وهجاء أرطأة قد يبـلغ أحيـاناً حـد الاقذاع الشديد .. حتى لا يسوغ ايراد نصوصه .. ولكن

---

(١) يروى أيضاً : تضيفت جبارين من سرو حميرا .
(٢) القهقر : بتخفيف الراء وتشديدها : الحجر الأملس الأسود الصلب : ويريد الكناية عن ثقل حمل ناقته . تراجع ترجمة أرطاة فى الأغاني .

هذا النوع من الهجاء كان شائعاً على عهد أرطأة ..

ونحن نجد فى بعض هجاء أرطأة .. ارتفاعاً فى نسبة الانفعال .. وحرارة العاطفة .. كما هو فى قصيدته فى هجاء شبيب التى أنشدها بين يدي عبد الملك وقد كان عبد الملك ـ كما يبدو ـ معجباً بها ..

★ ★ ★

أما غزله .. فرقيق .. وهو الى رقته مهذب اللفظ والمعنى .. مع احتفاظه بأسلوب أدائه الذى يتسم بقوة البناء .

لقد أحب أرطأة ـ كما مر بنا ـ فتاة اسمها « وجزة » ، من قبيلة « غني » كانت تنزل « رَمان » مجاورة « قصر العذيب » ولكننا لا نكاد نجد من أخباره معها الا النزر القليل ، ولا نجد من غزله فيها الا قطعتين من الشعر .. وقد سبق أن تحدثت عن بعض خبره معها ..

وكعادة الشعراء فى الجاهلية ، وفى صدر الاسلام ـ عصر أرطأة ـ فقد كان أرطأة يفتخر بنفسه وبقومه .. وقومه هنا هم بنو مرة .. الذين عاش فى أكنافهم ، واعتصب بهم ، وشاركهم بأساءهم وضراءهم ..

وقد مر بنا من فخره بنفسه قوله :

.. وانى ابن حرب .. لا تزال تهرنى
كلاب عدوى .. أو تهر كلابى ..

وهو هنا يصرح بما يفتخر به ، فهو ابن حرب .. يغزو عدوه .. فلا يبالى بما يصيبه من جراء غزوه .. وهو أيضاً يتعرض لغزوات عدوه ، فيحسن الدفاع ، ولا يبالى بما يتعرض له أيضاً من جراء ذلك ..

كما مر بنا فخره بحسن ضيافته ، وانه لا يصون عن ضيفه شيئاً الا محارمه .

وقد سبق أن أوردت بعض أبيات من قطعة

يتحدى فيها خصمه شبيب بن البرصاء ، ويتحدث فيها عن شجاعته ، وقد تضمنت القصيدة ، تمدحَه بنفسه وافتخارَه بها .. وفيما يلى نصها كاملة :

ان تلقني لا ترى غيرى بناظرة
'تلقِ السلاح ، وتعرف جبهة الأسد

ماذا أظنك 'تغنى فى أخى رصد
من أسد خفّان ، جابى العين ذى لبد(١)

أبى ضراغمة ، 'غبر يعوّدها
أكل الرجال ، متى يبدأ لها 'يعد(٢)

يا أيها المتمنى ان يلاقينى
ِان تنأ آتك ، أو ان تبغنى تجد(٣)

تقض اللبانة من مرّ شرائعه
صعب المقادة تخشاه .. فلا تَعد(٤)

---

(١) جابى العين : بمعنى غليظها .
(٢) اي انه اسد قد انجب اسودا يعودها اكل الرجال .
(٣) أي لن تفلت مني بحال ، ان تبتعد أقترب اليك ، وان تقترب تجدنى بالمرصاد ..
(٤) أي تقض حاجتك الى لقائه فتجده مرّ المورد صعب القياد ، مرهوب الجانب .

متى تَـردنى لا تصـــــدر لمصـــــدرة

فيهـــا نجـــاة ، وان أصـــدرك لا ترد(١)

أنا ابن ’عقفـــان .. معـــروف له نسبى

الا بمـــا شـــاركت أم عـــلى ولد(٢)

لاقى الملـــــوكَ .. فأثأى فى دمائهـــمُ

ثم اســــــتقر ، بلا عقـــل ولا قود(٣)

من عصـــبة يطعنون الخيـــل ، ضاحيـــة

حتى تبـــــدد كالمـــــزءودة الشرد(٤)

ويمنعـــون نســـــاء الحي ، ان علمت

ويكشـــفون قتـــام الغـــارة العُمُد(٥)

أنا ابن ِصرمـــة ، ان تســـأل خيـــارهمُ

أضرب برجـــلي فى ســــاداتهم ويدى(٦)

---

(١) الورود الى الماء ، هو الذهاب الى السقيا ، والصدور هو الاياب منه .. فهو يقول انك ان تات لن تعود .. وان عدت فلن تستطيع أن تعاود الكرة ..

(٢) هكذا ورد البيت ولعل المعنى يستقيم بتعديل الشطر الثانى ليكون .. وليس ما شاركت .. الخ .

(٣) أي لم يؤخذ منه قود ولا على عاقلته ..

(٤) المزءودة : المفزعة التى مسّها الخوف الشديد .

(٥) القتام : الغبار الأسود ـ العمد : ربما كان المقصود الغارة المتعمدة .. أو الشديدة .. أو النازلة .

(٦) أي اننى معرق أصيل فيهم .

وفى بنى مـــــالك أم .. وزافــــــرة
لا يدفــــع المجـــد من قيس الى أحد(١)

ضربت فيهـــم بأعراقى ، كمـــا ضربت
عـــروق ناعمـــة فى أبطـــح ثئد(٢)

جـــدى قضـــاعة .. معـــروف ويعرفنى
جبـــار فيـــدة .. أهل السرو والعدد(٣)

ونلمس فى هذه الأبيات ، تمدحَه بقومه، وبالغَ فخره بهم .. واعتزازَه بنسبه فيهم .. مع ما نعلمه من تنازع ضرار وزفر ، أو أهل زفر فيه ..

ونجد أيضاً فخره بنفسه وقومه ، فى الأبيـات الآتية :

فـــلو ان ما ’نعطى من المـــال ، نبتغى
به الحمـدَ ، يَعطى مثـله زاخـر’ البحـر

---

(١) قيس : قيس عيلان قومه الذين ربى فيهم يفخر بهم .

(٢) ِثئد : النبت ندي : والابطح الثئد : الندي الرطب .

(٣) النص من الأغانى : ترجمة ارطاة بن سهية .

لظلت قــــراقير صـــــياماً بظـــــاهر
من الضحل ، كانت قبــل فى لجــج خضر(١)

ولا نكسر العظــــم الصــــحيح تعــــززاً
و'نغنى عن المــــولى ، ونجــبر ذا الكسر

غلبنـــــا بنى حــــواء .. مجداً وســـــؤدداً
ولكننـــــا لم نســـــتطع غَلَبَ الدهر(٢)

ونحن نجد فى هذه الأبيات أيضاً طابع المبالغــة والمغالاة .. على انها قوية السبك ، فخمة الأداء :

ومما افتخر به أرطأة قوله :

أجليت أهــــل البـــرك من أوطانهــــم
والخمس من 'شـــعبا وأهـــل الشربب(٣)

★★★

---

(١) القراقير : واحدها 'قرقور : وهي السفن . والضحل : الماء القليل والخضر : السود .
والمعنى اننا نعطى ما لا يعطيه البحر .. ولو أن البحر يعطى مثل ما نعطى لجرت السفن على الضحل ، ولا نحسرت الأمواج الخضراء العاتية !
(٢) الأبيات الأربعة في شرح الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١٩٩ ..
(٣) سبق التعريف بالشربب
وجاء فى كتاب « ابن أبى عتيق » ناقد الحجاز للدكتور عبد العزيز عتيق ان الشربب : واد في ديار بنى ربيعة . قال خزر بن لوذان (باللام) :
لمن الــديار عرفتهـــا بالشربب ذهب الذين بها ولمـا تذهب

ولا يتخلف أرطأة عن حروب قومه (بنى مرة) ولا عن خصوماتهم ، فقد اشترك معهم فى موقعة (بنات قين) ..

وبنات قين موقعة وقعت بين بنى فزارة وبنى أسد ، أوقعت فيها بنو فزارة ببنى أسد على هذا الماء ، وهو فى الشام فى بادية كلب بالسماوة(١) وذلك في أيام عبد الملك .

وعنها يقول :

فلما ان طلعن ثنعَين جعداً
وقتلى « العاه » اذ قُتلوا غرورا(٢)
بلأي ما تناول ملجموها
نواصيَ قرُح ذهبت صدورا

---

(١) قين : بفتح القاف وسكون الياء ، وهذا الماء عيون عدة ، وسميت بذلك لأن القين بن جَسر (بفتح الجيم) كان ينزل بها ويقول هذه العيون بناتى .

(٢) الجعد : هو الجعد بن عبد الله بن عيينة بن حِصن .. وكان مقتله سبباً فى ايقاد نار الفتنة يوم « بنات القين » و « العاه » جبل فى أرض فزارة وهو الموقع الذى أوقعت فيه كلب ببنى فزارة ، فتجمعت فزارة وأوقعت بكلب فى بنات قين أيام عبد الملك بن مروان .
نص البيتين فى شرح الحماسة للتبريزي ج ٢ ص ١٠٠ .

وفى يوم بنات قين ، يقول أرطأة :

وقعنـــا وقعـــة برؤوس كـــلب
شــفت قيســاً ، واخفــرت الاميرا(١)

ويبدو أن هذه الأبيات الثلاثة من قصيدة واحدة لم تصل الينا كاملة ..

★ ★ ★

وقــد رثى أرطأة قتلى قومه يوم « بنــات قين » فقال في ذلك :

أعـــــاذلتى .. ألا لا تعذلينـــــا
أقلّى اللـــــوم ان لم تنفعينـــــا

فقـــد أكثـــرتِ ، لو أغنيت شـــيئاً
ولســـت بقـــابل ما تأمرينـــا

فلا .. وأبيـــك .. لا ننفـــك نبكى
عـــلى قتـــلى هنـــالك .. ما بقينـــا

عـــلى قتـــلى هنـــالك .. أوجعتنـــا
وأنســـتنا رجـــالا آخرينـــا

---

(١) البيت أورده التبريزي فى شرح الحماسة ج ٢ ص ١٠١ ، وقد أورد طرفاً من خبر الفتنة .

سنبكى .. بالرماح اذا التقينا
على اخواننا وعلى بنينا
بطعن ترعد الاحشاء منه
يردّ البيض والأبدان جونا(١)
كأنّ الخيل اذ آنسن كلباً
يرين وراءهم ما يبتغينا(٢)

ونلاحظ فى رثائه جيشان العاطفة .. والروح الباكية .. الباكية باصرار .. وان كان أرطأة لا ينسى صلابته ، فهو يفىء اليها ليقول انه سيبكى بالرماح .. سيجعلها تقطر دماً .. انتقاماً لقتلى قومه .. من اخوان وبنين ..

كما نلاحظ أن أبياته فى الرثاء معبرة موحية .. سلسة .. ليس فيها ألفاظ غريبة .. حتى لقد اختير بعضها للغناء !

---

(١) الجون : السود .
(٢) نص الأبيات من الأغانى (ترجمة أرطاة) وقال أبو الفرج انه يُغنى فى البيتين الأولين ..

وقد مرّ بنا من قبل قصة تأثره البالغ لفقد ولده الطفل الذى لم يتجاوز العام .. حتى ليكاد يجن .. بل حتى لقد حمل قومه على البقاء حولا كاملا فى ديارهم المحلة دون الانتقال منها لطلب الكلأ ..

وأنا هنا أورد قصيدته في رثاء ابنه عمرو كما وردت فى الأغاني(١) :

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن
وقوف عليه غير مبكى ومجزع

هل انت .. ابن سلمى ـ ان نظرتك رائح
مع الركب ؟! أو غاد غداة غد معي ؟(٢)

أأنسى ابن سلمى ، وهو لم يأت دونه
من الدهر الا بعض صيف ومربع(٣)

وقفت على جثمان عمرو فلم أجد
سوى جدث .. عاف ببيداء بلقع(٤)

---

(١) من نصين أدخلتهما في بعض (ترجمة أرطاة) .
(٢) أورد صاحب الحماسة هذا البيت قبل سابقه فجعله أول ، وجعل هذا تاليا ، وفى الموضعين جاء اسم ليلى بدلا من سلمى .
(٣) أي مر عليه بعض الصيف وبعض الربيع ، فهو فى عامه الأول .
(٤) البيداء : الصحراء . البلقع : الخالية .

ضربت عمـــودي بانة .. ثمـــرا معـــاً
فخـــرت ، ولم أتبـــع قـــلوصى بدعـــدع

ولو انهـــــا حادت عن الرمس نلتهـــــا
ببـــادرة من ســـيف أشـــهب ’مو قـــع

تركتـــك .. ان تحيى تكوسى ، وان تنـــؤ
على الجهــــد .. تخـــذلها توال فتصـــرع

وكائن تـــــرى من ذات بث وعـــــولة
بكت شـــجوها بعـــد الحنـين المرجـــع

فـــكانت كـــذات البـــو ، لمـــا تعطفت
عـــلى قطـــع من شـــلوه المتمـــزع

متى لا تجـــــده .. تنصرف لطياتهـــــا
من الأرض .. أو تعمـــــد لألف فتـــربع

عن الدهـــر فاصـــفح .. انه غـــير معتب
وفي غـــير من قـــد وارت الأرض فاطمع(١)

ونلاحظ أيضـاً ظاهرة الأسى العميـق.، الـذى يبلغ حـد التطرف .. وان كان أرطأة قـد فاء الى نفسه فأطلق هذه الحكمة الصادقة المتمثلة في البيت الأخير .

★ ★ ★

(١) أورد هذا البيت صاحب « الحماسة » مع البيتين الاول والثـاني فقط .

ويشترك أرطأة في خصومات قومه .. كما يشترك في حروبهم ، وفي ذلك يقول :

ونحن بنو عم على ذات بيننا
زرابي فيها بغضة وتنافس(١)

ونحن كصدع العس ، ان يعط شاعباً
يدعه .. وفيه عيبه متشاخس(٢)

كفى بيننا أن لا ترد تحية"
على جانب .. أو لا يشمت عاطس

وتبدو الصورة التي يقدمها أرطأة عن خصومة بني قومه ، بعضهم للبعض الآخر ، واضحة قوية التعبير ، تتدرج في الأداء ، حتى تصل القمة .. فهو

---

(١) أورد الأبيات الثلاثة أبو تمام في « الحماسة » وشرحها التبريزي ، وهي أشبه أن تكون من قصيدته السينية التي تغزل فيها بحبيبته وجزة .. .. وقد رجح التبريزي أن المراد بالزرابي في البيت الأول : الطنافس والبسط .. وقال انها في ديوان أرطاة (زرائب) فكأنه جمع زريبة ، فجعل العداوة زريبة لأنها تزرب في القلب أي تسلك اليه .

« يلاحظ ما جاء في سمط اللآلى » اذ يروى النص لعمرو بن العاص ، كما يروى لابي غطفان الصادري ، قال صاحب « سمط اللآلى » ومن قال انها لعمرو بن العاص فقد أخطأ ، وانما قالها عمرو متمثلا .

(٢) قال التبريزي : العس : القدح الضخم . والشاعب : مصلح الأقداح . والمتشاخس : المتفاوت المتباين . أي استحكم العداء بيننا حتى لا نقبل صلحاً .

يبدأ الصــورة ، بأن يقول : اننا بنو عم حقـاً .. ولكننا كالمسالك الضيقة المعتمة .. فيهــا خوف ، وفيها تنافس .. وفيها البغض كامناً ..

اننا كالصدع الجسيم في الـكأس ، لا يســتطيع الشاعب ، أن يصلحه فيتحير في أمره .. ويعجز في تدبيره .. ثم يعود منه .. وفيه صدوع كثيرة .. لم تصل اليها خبرته ..

لقد بلغ أمرنا غاية السوء .. بلغ حد القطيعة بحيث لا ترد تحية .. ورد التحية واجب .. وبحيث لا يشمت عاطس .. والتشميت مطلوب ..

* * *

وقــد نجد لارطأة نصوصاً متفرقة ، في أغراض أخرى ، غير تلك التى استعرضنا .. فاننــا نجده (يلوم) عقيل بن عُلَّفة(١) ، أحــد معاصرين من

---

(١) عقيل : بفتح العين ، وكسر القاف ، وعُلَّفة بضم العين المهملة ، وتشديد اللام المفتوحة ، بعدها فاء . والعلفـة : واحدة العلف ، وهو ثمر الطلح . ترجم له صاحب الاعلام فقال عنه : عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية اليربوعي المرى الضبياني الذبياني أبو العملس شاعر مجيد مقل ، كانت احدى بناته واسمها الجرباء زوجة للخليفة يزيد بن عبد الملك وفاته سنة ١٠٠ هـ/٧١٨ م .

الشعراءِ .. وكان هذا قد طرد بنيه ، فتفرقوا عنه، وبقي وحده .. فتسلط عليه رجل من بنى صرمة ، يقال له بجيل ، كثير المال والماشية ، فحطم بيوت عقيل بماشيته ، ولم يكن أحد (من قبل) يقرب من بيوت عقيل الا لقي شراً .. فطردت أمة له يقال لها « صافية » الماشية .. فضربها بجيل بعصا فشجها ، فخرج اليه عقيل وحده.. وقد هرم ، فزجر بجيلا ، ولكن هذا ضربه واحتقره .. فجعل عقيل يصيح منادياً أبناءه .. يا عُلَّفة .. يا عملس .. يا .. مستغيثاً بهم ، وهو يحسبهم لخرفه الى جواره فقال له أرطأة :

أكلت بنيك ، أكلَ الضب ، حتى
وجدت مرارة الكلأ الوبيل(١)

ولو كان الأولى غابوا شهوداً
منعت فناء بيتك من بجيل(٢)

ونلمس ظاهرة الوضوح والنفاذ الى المعنى ماثلة

---

(١) الكلأ : العشب . والوبيل : الوخيم : أي حصدت النتيجة .
(٢) الأولى : الذين . النص من الأغانى ترجمة أرطاة .

في هذين البيتين ، وهي الظاهرة التى تغلب على شعر أرطأة ..

نجد هذه الظاهرة حتى في أبياته المفردة فهو مثلا عندما يعتــذر لأحــد ممدوحيه عن تكرار الزيارة يقول فى « اختصار » وفى دقة ، وفى وضوح ، ونفاذ:

عـــــــــداني ان أزورك أن بَهمــــــى
عجـــــايا .. كلهـــــا .. الا قليـــــلا(١)

وهو يقول لأم بيضاء .. التى لا نعرف من أمره وأمرها شيئاً .. متأسفاً على شبابه .. مقراً بواقع هرمه ، وتغضن جلده .. ونجد في هذا البيت أيضاً تلك الظواهر التى أومأنا اليها :

فقلت لهـــــا : يا أم بيضـــــاء انــــه
هـــريق شـــبابي .. واستشـــن أديمى(٢)

---

(١) البيت فى الامالى ج ١ ص ١١٤ غير منسوب وفى سمط اللآلى ص ٣٤٢ المجلد الأول منسوب الى أرطاة ، وليس معه غيره .
وقوله عجايا .. العجايا من السائمة ما فقد أمه .
والبَهم هى : أولاد البقر والمعز والضان .

(٢) البيت من سمط اللآلى ص ٢٣٣ والاهراق السكب . واستشن : أي صار شنا .. أي تقادم والاديم الجلد ..

أين ديوانه ؟

وبعد أن استعرضت أهم الأغراض التى تناولها أرطأة بن سهية في شعره ..

وبعد أن استطرق البحث الى نماذج من شعر هذا الشاعر ..

ودلنا كل ذلك على أنه شاعر فحل مطبوع ، جيد الشعر ، له صور مبدعة تنمّ عن أصالته ، وعلوّ كعبه ..

لنا ان نتساءل عن ديوانه .. وحق لهذا الشاعر ، أن يكون له ديوان مجموع ..؟ ونحن نعلم أن هناك من قدامى الأدباء واللغويين من أولع بجمع دواوين الشعراء ، وصناعتها ، وضم شتات أشعارهم من بطون الكتب ، فهل تناول أحدهم أشعار أرطأة ، بمثل هذا الجمع والتدوين ؟

نجد نصاً للتبريزي فى شرحه لحماسة أبى تمام يدل على شيء من ذلك ..

يقول التبريزي في الجزء الأول ص ٢٨ من طبعة بولاق سنة ١٢٩٦ هـ :

ونحـــن بنـــو عـــم عـــلى ذات بيننـــا

زرابي فيهـــا بغضـــة وتنـــافس

... قال أبو العلاء : اذا صح أن الزرابي يراد بها العداوات والقوارص ، فهي من قولهم زربت البهم في الزريبـة اذا أدخلته فيهـا ، ومعروف من كلامهم أن يقـال : بينى وبينه دسيس عداوة قال الشاعر :

لا تســـأما لى من دسيس عـــــداوة

أبـــدأ .. فليس بمســئمى ان تســأما

وقيـل انهـا في ديوان أرطأة زرائب على مثال غرائب) ..

هذا هو نص التبريزي ..

وواضح أن النص يدل على انه كان هناك ديوان مجموع لارطأة .

وكنت قد نشرت فى عام ١٣٩٤ هـ في مجلة الكتاب العراقية ، حينما كان يرأس تحريرها الأستاذ الصديق « هلال ناجى » مقالا .. أشرت فيه الى النص المذكور ، والى احتمال وجود مخطوطة الديوان في احدى مكتبات العالم .. ورجوت الأخوة من الباحثين العراقيين أن يهتموا بهذا الأمر .. وخصصت الباحثين العراقيين بذلك ، لما أعلمه من عناية فريق منهم بالتراث ، وتحقيقه واخراجه .. وتخصص نفر منهم في جمع الدواوين الشعرية وصنعها .. وان لهم نشاطاً ملموساً فى ذلك .

وكان ان بادر الأستاذ الصديق « هلال ناجى » وهو باحث مشهور ، له عناية فائقة في ملاحقة التراث ونشره ، ومتابعة مخطوطاته ـ فكتب الي في ١٩٧٤/١٢/٢٣ م يخبرنى بما ورد في كتاب بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) من أنه توجد

نسخة مخطوطة من ديوان أرطأة برواية ابن الأعرابي في المكتبة الآصفية في حيدر أباد بالهند ٢ : ١٤٢٨ برقم ١٥٢

وانه يوجد أيضاً من الديوان منتخب مخطوط ، لزيد بن رفاعة ، محفوظ في برلين برقم ٦٣٢٩ ، وان أحد المستشرقين نشر قسماً من شعر أرطأة في مجلة JRAS (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة ١٩١٧) .

وعجبت كثيراً .. فقد كنت فى بداية اهتمامى بأرطأة قد راجعت ما كتبه بروكلمان عنه ، فلم أجده أشار الى شيء من ذلك ..

ولم يكن بين يدي من بروكلمان ، الا ما نشر مترجماً باللغة العربية ، وعيبه ، ان معظم أجزائه غير مفهرسة أعلامياً عكس النسخة الألمانية التى لم أقف عليها .

ولكن أستاذنا الجليل العلامة الشيخ حمد الجاسر، كتب الي في ١٣٩٥/٦/٢٨ هـ يذكر أنه اطلع على

ما نشرته في مجلة (الكتاب) العراقية ، وانه قد رأى في كتاب تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٢٠٤ في ترجمة (محمد بن زياد الأعرابي) (١٥٠/٢٣١هـ) أنه عدّ من مؤلفاته ، شعر أرطأة بن سهية ، وذكر أنه يوجد في المكتبة الآصفية في الهند ١٤٢٨/٢ رقم ١٥٢ . كما ذكر أن في مكتبة برلين قطعة منه انتخبها زيد بن رفاعة ، وأحال الي مقال نشر في مجلة المستشرقين الألمان م ٩٠/٢٠١ .

وهكذا جاءت هذه الافادة مماثلة لما تفضل به الباحث الكبير « هلال ناجى » ، الذى لم يفته أيضاً أن يدلنى في رسالة لاحقة على تحديد جزء المصدر ..

وبذلك سهل علي الرجوع الى بروكلمان ، وتأمل ما ذكره ..

وهنا بدأت مرحلة جديدة في البحث عن ديوان أرطأة ..

استعنت بمعالى السفير الشيخ محمد الحمد

الشبيلى(١) ، فكتب الى معارفه بالهنـد ، وهو فيها كثير الأصدقاء ، كما انه كثيرهم في كل بلد عاش فيه .. فأرسل الي جواب باحث كريم .. يجزم أن الديوان غير موجود في المكتبة الآصفية ..

وصادف ان كانت الباحثة الكويتية الأستاذة (طيبة العثمان) : تبحث في نفس الوقت ، عن ديوان أرطأة ، وتضع رسالتها في الدراسة العليا عنه وقد علمت من الأستاذ هلال ناجى عن اهتمامى بالموضوع ، وقرأت ما كتبته عن الديوان فى مجلة الكتاب ، فكتبت ــ متفضلة ــ تخبرنى بنتائج بحثها عن الديوان في المكتبة الآصفية ، بل أرسلت الي صورة من جواب هذه المكتبة على استفساراتها .. وكان الجواب يتضمن بكل أسف عدم وجود ديوان أرطأة ، وان المخطوط الذى يحمل الرقم الذى أشار اليه بروكلمان ، انما هو خاص بكتاب (اصلاح المنطق) لابن السكيت ..

---

(١) معاليه الآن سفير المملكة في ماليزيا ، وقد شغل عدة سفارات هامة ، وكان ولا يزال محل الاعجاب والحب ، فهو من نوادر رجال العصر كرماً وسخاء ، ولطفاً ، ولباقة وايناساً ..

وكذلك علمت أن مخطوطة برلين ، حسب الرقم الموجـود لديهـا انما هو لـكتاب (جوامع اصلاح المنطـق لزيد بن رفاعـة) ، وهو مختصر كتـاب (اصلاح المنطق) لابن السكيت ، وانها قد رجعت الى النص الألماني من كتاب (بروكلمان) فاتضح لها الآتي :

G 1/120/23

ان ترجمة ابن السكيت رقم ٧

ان ترجمة ابن الأعرابي رقم ٦

ورقم شـعر أرطأة بها رقم ٧

وان كتـاب (اصـلاح المنطـق) هو رقم ١ في مؤلفات ابن السكيت ، وانه حصل لبس للمترجم ، فبـدلا من وضع البيانات الخاصـة بابن السـكيت ورقمه ٧ وضع البيانات من الـكتاب رقم ٧ عند ابن الاعرابي ، وهو اشارته الى عمله شعر أرطأة نقلا عن الأغاني ، وان الحقيقة التى توصلت اليها هو عـدم وجـود ديوان أرطأة في الآصـفية أو في برلين .

وهذه النتيجـة .. أعنى عدم العثور على ديوان أرطأة فى المـكتبتين سـالفتي الذكر ، هي أيضـاً ما توصلت اليه شخصياً .. وقد أسلفت قصة البحث فى المكتبة الآصفية ..

أما مكتبة « برلين » فقد استعنت بالبحث فيهـا بمعالى الأستاذ الشيخ « جميل الحجيلان »(١) ، الذى كان آنذاك سفير المملكة العربية السعودية في ألمانيا الغربية .. وقد تفضل فعهد بالأمر الى رجل همام هو الدكتور « محمود حسين الأحول » ، الذى اهتم بالموضـوع كثـيراً ، ثم أجابنى في خطـابه المؤرخ ٨/١١/١٣٩٥ هـ ، وأرسل الي صورة من جـواب الدكتور « فـرتيز ستيبات » مدير معهـد العـلوم الاسلامية بجامعة برلين الحرة .

---

(١) معالى الشيخ جميل حجيلان ، كان وزيراً للاعـلام ، ويعمل الآن سفيراً للمملكة العربية السعودية في باريس ، وهو من خيرة رجالات المملكة ، واسع الثقافة ، ويجيد عدة لغات اجادة تامة ، وله فضل كبير على سلسلة (المكتبة الصـغيرة) فقـد كان في مقـدمة مشجعيهـا ، والعـاملين على اسـتمرارها وتطويرها حينما كان معاليه وزيراً للاعلام .

قال الدكتور فريتز ، بعد أن اطلع على الجـزء المترجم من بروكلمان الخاص بالموضوع : ثبت لى أن المترجم العـربي قد صادفه الخطـأ ، فالملحـوظة التفسيرية منكتاب ابن الاعرابي لا علاقة لها اطلاقاً بهـذا الـكتاب ، بل تتعلق بكتاب اصـلاح المنطق لابن السكيت .. وكل ما ورد في الترجمة العربية في « بروكلمـان » بعد ذلك ينصب على كتـاب (ابن السـكيت) ، ولـذا فان أي بحث في مخطـوطات الآصـفية تحت رقـم ١٥٢/١٤٢٨/٢ ، وكذا في المنتخب رقم ٦٩٢٩ ، لا فائدة فيه .. »

وقـد تأيد هذا ، بخطاب آخر من معالى الشيخ الحجيلان ، عما توصل اليـه أيضـاً بحث القسـم الشرقي للمكتبـة الأهليـة بمدينة برلين الغربية ، حيث ذكر الدكتور (هـ ـ كوريس) ان الموجود تحت رقـم ٦٣٢٩ هو موضـوع كتبـه زيد بن رفاعـة وعنـوانه (جوامع اصـلاح المنطق) وانه كذلك لا يوجـد شيء في نسخة المجـلة التابعـة للجمعيـة الآسيوية الملكية سنة ١٩١٧ ، وانه بالبحث أيضاً في

مخطوطات مكتبة الآصفية بحيدر آباد ، الموجود صور منها في مخطوطات (الجمعية الألمانية الشرقية جزء ٩٠) لم يجدوا شيئاً ..

وبذلك انتفى تماماً وجود ديوان أرطأة في الآصفية أو مكتبة برلين ..

وبه انتهى البحث في هذا الشأن ، وهو بحث تطلب جهداً وزمناً واشترك فيه عدد من الأشخاص وقد نجم عن خطأ من مترجم بروكلمان ..

وكما سلف ان قلت ، لم أكن وحدى في البحث عن ديوان أرطأة فقد كان هناك ، عدا الأستاذة طيبة العثمان ، بعض الباحثين في العراق ، أحسبهم قد انتهوا الى نفس النتيجة ..

لقد ذكرت قصة بحثى عن ديوان أرطأة بكثير من التفصيل .. وكان يغنينى عنه حقاً ، ان أذكر في ايجاز النتيجة المؤسفة التى انتهيت اليها .. ولكننى فضلت أن أورد القصة كاملة ، لأوفر على أي باحث

آخر مشقة الجري وراء السراب الذى سببه مترجم بروكلمان عفى الله عنه .. كما ان هذا التفصيل قد ضم بعض الاجتهادات والاستنتاجات الشخصية التى لا يخلو ايرادها من فائدة .. عدا عن انه أشاد بفضل عدد من الأشخاص ، حقهم علي الاشادة والثناء .

ومع تلك النتيجة الموئسة التى انتهى اليها البحث عن ديوان أرطأة .. الا اننى لا أستبعد أن تكشف الأيام عن مجموعة أشعاره ، فقد كان لارطأة نفر من المعجبين بشعره منهم الزبير بن بكار، فقد جاء في (تهذيب ابن عساكر) هذا النص :

« قال الزبير بن بكار ، حدثنى عمى مصعب بن عبد الله فقال : أنشدنى أبى لارطأة أبياتاً مدح فيها ثابت بن عبد الله بن الزبير على الدال . فقلت لعمى : ما أعدّ أحداً يتقدمنى في معرفة شعر أرطأة ، ولا أعرف هذه الأبيات .. ثم وجدت بعد ذلك في كتب ابراهيم بن موسى بن صديق ، وكان

من الفقهاء العباد الفصحاء الرواة للآثار والأخبار والشعر) .

ثم أورد المؤلف الأبيات الثلاثة التى قالها أرطأة مدحاً في ثابت ، وقد سبق أن أوردتها من قبل ..

والشاهد في هذا النص ان الزبير بن بكار ، كان معنياً بشعر أرطأة ، حتى ليعد نفسه متخصصاً فيه ، كما يدل على عنـاية ابراهيم بن موسى بن صديق بشعر أرطأة ، وتدوينه في كتبه .. فلعل أحدهما كان محتفظاً بشعر أرطأة مجموعاً ، سواء من صنعه أو من صنع غيره(١) .

ومما يدلنا على اهتمـام الزبير بن بكار بشـعر أرطأة ، انه كان ينقده .. ففي تهذيب ابن عساكر

---

(١) النص المذكور من تهذيب ابن عساكر ص ٣٦٧ ج ٢ . وقد سبق أن ذكرت في الهامش أن الأستاذ صالح محمد خلف من العراق ، قد جمع شعر أرطأة ونشره في مجلة (المورد) العراقية العدد الأول ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ م المجلد السابع ، وقد اطلعت عليه حينما كان هذا الكتيب فى الاعداد الأخير ، وقد أحسن بذلك صنعاً . كما ان هناك غيره ممن عنى بشعر أرطاة وان لم أر لهم شيئاً حتى صدور هذا الكتيب

آنه يذهب الى أن أرطأة سرق البيت الذى يقــول فيه :

وما تبــغى المنيـــة حـــين تـــأتي
عـــلى نفس ابـــن آدم مـــن مزيـــد

من شعر زبان بن منظور بن سيار ، حيث يقول :

لئـــــن فجعت بى القـــــرناء يـــوماً
لقـــد ُمتِعت بالأمـــــل البعيـــــد
وما تجـــــد المصيبـــــة فـــوق نفسى
ولا نفس الا حبـــــة مـــن مزيــــد
خلقنــــا أنفســـاً وبنى نفـــوس
ولســــنا بالســـــلام ولا الحــديد(١)

★ ★ ★

(١) تهذيب ابن عساكر ص ٣٦٦ ج ٢ .

نثره ؟

ومما يتصل بالحديث عن أدب أرطأة بن ُسهية ، الكلام على نثره .. فهل كان لارطأة نثر ؟ أما النثر المكتوب ، فلم يؤثر منه شيء له ، ولكن هناك قولة مشهورة ، تناقلتها كتب الأدب ، تنم عن فصاحتـه وحسن بيــانه .. فقد روى صاحب (الأغاني) في أخباره ، القصة التالية :.

« دخل أرطأة بن سهية على عبد الملك بن مروان ، فقال له : كيف حالك يا أرطأة ؟ ـ قال وكان قـد أسنّ ـ فقال : ضعفت أوصالى ، وضاع مالى ، وقلّ منى ما كنت أحب كثرته ، وكثر منى ما كنت أحب قلته .. قال : فكيف أنت في شعرك ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أرغب ولا أرهب ، وما يكون الشعر الا من نتائج هـذه

الأربع ، وعلى انى القائل :

رأيت المــــرء تأكلـــــه الليـــــالى
كأكـــل الأرض ســـــاقطة الحديـــــد
ومــا تبغى المنيـــــة حـــــين تأتى
عـــلى نفس ابن آدم مــــن مزيـــــد
واعــلم أنهـــا ســـتكرّ حـــتى
تُــوفى نذرهـــا بأبي الوليـــــد

فارتاع عبد الملك ثم قال : بل توفي نذرها بك ويلك .. ، مالى ولك ؟ فقـال : لا تـرع يا أمـير المؤمنـين فانما عنيت نفسى .. وكان أرطأة يكنى أبا الوليـد . فسكن عبد الملك ثم استعبر باكياً ، وقال : أما والله على ذلك لتلمن بى » ..

وكتب الأدب التى تتناقل هذا الخبر ، كثيراً ما تفعل ذلك اعجاباً بهذا التلخيص المحكم لدواعى الشعر .. وهي الحـوافز الأربعـة .. الطـرب ، والغضب ، والرغب ، والرهب ..

ولكن هناك من يأخذ على أرطأة ، انه لم يراع المقام .. حينما أورد أبياته الثلاثة .. ناسياً أو ذاهلا ان الخليفة يكنى أبا الوليد(١) .. وانه كان عليه ، وقد أقبل عليه الخليفة .. يسأله عن أحواله وأخباره .. وما جدّ من أشعاره .. أن يدرك أن الخليفة ، انما يريد أن يستأنس بحديثه .. وانه كان عليه الا (يوحشه) بحديث الموت .. ، وان لا يفوته ، وقد طرق باب الخلفاء ، ان لا يرد فيما ينشد من شعر ، ما يزعج أو يمسّ مشاعرهم .. ولو من بعيد ..

على ان هؤلاء الذين يلومون أرطأة ينسون أو يتناسون حقائق واضحة .. أولها : ان أرطأة انما دخل على عبد الملك ، وقد أسنّ .. وانه يشكو قلة

---

(١) ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ من الموشح للمرزباني طبعة ١٩٦٥ دار نهضة مصر .
وهناك رواية أخرى في قصة ارطاة وعبد الملك هذه اوردها صاحب تهذيب ابن عساكر ص ٣٦٦ ج ٢ تدل على ان ارطاة قال هذه الأبيات وهو بعيد عن عبد الملك فلما بلغته أشخصه اليه وقال له : ما أنت وذكرى فى شعرك ؟ فقال : انما عنيت نفسى أنا أبو الوليد فسل عن ذلك وفي أعقابها أرجف بعض أعدائه بموته فقال أبياته التى يقول في مطلعها : اذا ما طلعنا من ثنية لفلف .

ما كان يحب كثرته..وهو السمع والبصر والنشاط وصحة الحواس .. وأيضاً .. حدة الذهن .. التى بها يدرك دقة الموقف الذى يريدون منه ادراكه .. وثانيها ؛ ان أرطأة لا يعتبر جليس خلفاء ، ولا من ندمان الكبراء .. وانما هو رجل بادية فيه طبيعتها ونقاؤها وتلقائيتها .. وبهذه الطبيعة البدوية النقية الصافية .. استرسل أرطأة في حديثه نثراً وشعراً .. وفي حسبانه ـ بحكم هذه الطبيعة ـ انه انما يتحدث عن بدهيات لا ضير في ايرادها .. فالموت حق على كل البشر لا يفلت منه كبير ولا صغير ، راع أو رعية ، غني أو فقير..ومن الطبيعي أن يتحدث عن الموت وقد شاخ وطعنت به السن .. ألم يسأله الخليفة عن حاله ؟ فلم لا يصدقه الحديث .. وثالثها ؛ ان الخليفة يستنشده شيئاً من شعره .. وفي حسبانه ان هذه الأبيات هي الجديد في شعره .. الذى يصف حالته .. وما آل اليه أمره ..

أما اذا عدنا الى تأمل النص النثري ، فانا نجد أرطأة فيه ، ميالا الى السجع ، تستهويه القافية

وأنغامها .. وهو ميال الى التقسيم والمقابلة والايجاز والتركيز حينما يقدم في كلمات قلائل ، أفكاراً كبيرة ومعاني مزدحمة كان من الممكن أن تأخذ حيزاً واسعاً .. وهنا تتجلى بلاغة الايجاز .

على ان هذا النص ، يعد النص الوحيد الذى بين أيدينا دالا على جمال نثره الأدبي ، فلم تنقل الينا مصادر الأدب غيره .. ولكنه يعدّ كافياً على ما كان يتمتع به أرطأة من حاسة فنية لا تقف عند حدود الشعر فحسب . ●

* * *

المصادر والمراجع

- الاعلام — خير الدين الزركلي
- تاج العروس — للزبيدي
- معجم قبائل العرب — محمد رضا كحالة (طبعة ١٣٨٨ هـ)
- الأغاني — لأبي الفرج الاصفهاني
- ضرار بن الأزور — عبد العزيز الرفاعي، سلسلة المكتبة الصغيرة
- الاصابة فى معرفة الصحابة — لابن حجر العسقلاني
- الموسوعة فى علوم الطبيعة — ادوار غالب
- الوافى بالوفيات — للصفدى
- سمط اللآلى — للبكرى
- صحيح الأخبار — لابن بليهد، الطبعة الثانية
- معجم البلدان — لياقوت الحموي

- لسان العرب — لابن منظور
- تاريخ الأدب العربي
  الأدب القديم — الدكتور عمر فروخ
- تهذيب ابن عساكر — مطبعة روضة الشام ١٣٣٠ هـ
- الشعر والشعراء — ابن قتيبة ـ تحقيق شاكر
  طبعة ١٣٦٤ هـ
- خزانة الأدب — البغـدادي
- شرح حماسة أبى تمام — للتبريزي
- ابن أبي عتيق — د. عبد العزيز عتيق
- الأمالى — لأبي علي القالى
  طبعة دار الكتب
- تاريخ الأدب العربى — بروكلمان
- الموشـح — للمرزباني
  طبعة ١٩٦٥ م
  دار نهضة مصر
- صفة جزيرة العرب — تحقيق ابن بليهد
  مطبعة السعادة ١٩٥٣ م

الفهرس

صفحة

الكاتب بقلمه..



* ولدت في بلدة (أملج)، وهي مدينة ساحلية صغيرة على البحر الأحمر.
* نشأت بمكة المكرمة، وتعلمت في مدارسها، وتخرجت من المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٦٠ هـ
* عملت منذ تخرجي موظفا ولازلت..
* اشتركت في بعض المؤتمرات الأدبية.
* بدأت في نشر سلسلة (المكتبة الصغيرة) في عام ١٣٨٩ هـ، وقد اشترك في تحريرها عدد من كبار الأدباء والشعراء في المملكة العربية السعودية. كما اشتركت فيها بعدد من رسائلها.

عبد ...

طبع بمطابع الروضة بجدة